

وانطوت على البراهين الساطعة والنصوص اللامعة في المبدأ والمعاد، واللام للاختصاص، وتقديم الخبر لتأكيده، وتعريف الحمد للاستغراق أو الجنس، والجملة اخبار عن الاستحقاقه تعالى لما تدل عليه، وجوز أن يراد الانشاء، وتام الكلام قد تقدم في الفاتحة، وفي التفريع المذكور على ما قال بعض الاجلة اشارة إلى أن كفرهم لا يؤثر شيئاً في ربوبيته تعالى ولا يسد طريق احسانه ورحمته عز وجل. ومن يسد طريق العارض الهطل. وانما هم ظلموا أنفسهم، واجراء ما جرى من الصفات الدالة على انعامه تعالى عليه عز وجل كالدليل على استحقاقه تعالى الحمد واختصاصه به جل وعلا؛ وقوله تعالى: (رب العالمين) بدل بما قبل؛ وفي تكرير لفظ الرب تأكيد وايدان بأن ربوبيته تعالى لكل بطريق الاصاله. وقرأ ابن محيصن برفعه على المدح باضمار هو ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ فيه من الاختصاص ما في (لله الحمد) والكبرياء قال ابن الاثير: العظمة والملك، وقال الراغب: الترفع عن الانقياد، وقيل: هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود، وقوله تعالى: ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في موضع الحال أو متعلق بالكبرياء. والتقييد بذلك لظهور آثار الكبرياء وأحكامها فيه، والاضمار لتفخيم شأن الكبرياء، وفي الحديث القدسي «الكبرياء ردائي والعظمة ازارى فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار» أخرجه الامام أحمد. ومسلم. وأبو داود. وابن ماجه. وابن أبي شيبة. والبيهقي في الاسماء والصفات عن أبي هريرة، وهو ظاهر في عدم اتحاد الكبرياء والعظمة فلا تغفل ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلب ﴿الْحَكِيمُ ٣٧﴾ في كل ما قضى وقدر، وفي هذه الجملة ارشاد على ما قيل - إلى أوامر جاليلة كأنه قيل: له الحمد فاحمدوه تعالى وله الكبرياء فكبروه سبحانه وهو العزيز الحكيم فأطيعوه عز وجل، وجعلها بعضهم مجازاً أو كناية عن الاوامر المذكورة والله تعالى أعلم. هذا ولم أظفر من باب الاشارة بما يتعلق بشيء من آيات هذه السورة الكريمة بفي بمؤنة نقله غير ما يتعلق بقوله تعالى: (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه) من جعله اشارة الى وحدة الوجود، وقد مر ما يغني عن نقله، والله عز وجل ولي التوفيق.

﴿سورة الاحقاف ٤٦﴾

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس. وابن الزبير أنها نزلت بمكة فاطلق غير واحد القول بمكيتهما من غير استثناء، واستثنى بعضهم قوله تعالى: (قل أرأيتم إن كان من عند الله) الآية، فقد أخرج الطبراني بسند صحيح عن عوف بن مالك الاشجعي أنها نزلت بالمدينة في قصة اسلام عبدالله بن سلام، وروى ذلك عن محمد بن سيرين. وفي الدر المنثور أخرج البخاري. ومسلم. والفسائي. وابن جرير. وابن المنذر. وابن مردويه عن سعد ابن أبي وقاص أنه قال: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الارض: إنه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت (وشهد شاهد من بني اسرائيل) وفي نزولها فيه رضى الله تعالى عنه اخبار كثيرة، وظاهر ذلك أنها مدنية لأن اسلامه فيها بل في الاخبار ما يدل على مدنيتهما من وجه آخر، وعكرمة يذكر نزولها فيه ويقول: هي مكية كما أخرج عبد بن حميد. وابن المنذر عنه. وكذا مسروق، فقد أخرج ابن جرير. وابن أبي حاتم عنه أنه قال في الآية: والله ما نزلت في عبد الله بن سلام ما نزلت الا بمكة وإنما كان اسلام ابن سلام بالمدينة وإنما كانت خصومة خاصهما محمد ﷺ، واستثنى بعضهم (والذي قال لوالديه) الآيتين، وزعم مروان

من لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أباه وهو في صلبه أنهما نزلتا في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما فكذبته عائشة وقالت : كذب مروان مرتين والله ما هو به ولو شئت أن اسمي الذي أنزلت فيه لسميته ولكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان في صلبه فروان فضض أى قطعة من لعنة الله تعالى ، وفي رواية أنها قالت : إنما نزلت في فلان بن فلان وسميت رجلا آخر ، واستثنى آخر (ووصينا الانسان) الآيات الأربع كالحكمة في جمال القراء ، وحكى أيضاً استثناء (فاصبر يا صابر أولوا العزم) الآية ونقله في البحر عن ابن عباس . وقتادة ، وكذا نقل فيه عنهما استثناء (قل أرأيتم) الخ ، وتام الكلام في ذلك سيأتى إن شاء الله تعالى . وآياتها خمس وثلاثون في الكوفي وأربع وثلاثون في غيره والاختلاف في (حم) وتسمى لمجاوزتها الثلاثين ثلاثين . اخرج أحمد بسند جيد عن ابن عباس قال : أقرأني رسول الله ﷺ سورة من آل حم وهى الاحقاف وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت ثلاثين ، وروى أن رسول الله ﷺ قرأها على وجهين *

أخرج ابن الضريس . والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال : أقرأني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سورة الاحقاف فسمعت رجلا يقرأها خلاف ذلك فقلت : من أقرأكها ؟ قال : رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت : والله لقد أقرأني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غير ذا فأتينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ألم تقرئني كذا وكذا ؟ قال : بلى فقال الآخر : ألم تقرئني كذا وكذا ؟ قال : بلى فتمهر وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : ليقرأ كل واحد منكما ما سمع فأنما هلك من كان قبلكم بالاختلاف . وأنت تعلم أن ما تواتر هو القرآن . ووجه اتصالها أنه تعالى لما ختم السورة التي قبلها بذكر التوحيد وذم أهل الشرك والوعيد اقتضح هذه بالتوحيد ثم بالتوبيخ لأهل الكفر من العبيد فقال عز وجل : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ ﴾ الكلام فيه كالذى تقدم في مطلع السورة السابقة ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ بما فيهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من المخلوقات ﴿ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ استثناء مفرع من أعم المفاعيل أى الا خلقا ملتبسا بالحق الذى تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية ، وفيه من الدلالة على وجود الصانع وصفات كماله وابتناء أفعاله على حكم بالغة وانتهائها إلى غايات جلية ما لا يخفى ، وجوز كونه مفرغا من أعم الاحوال من فاعل (خلقنا) أو من مفعوله أى ما خلقناها في حال من الاحوال إلا حال ملابستنا بالحق أو حال ملابستها به ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ عطف على (الحق) بتقدير مضاف أى وبتقدير أجل مسمى ، وقد لأن الخلق إنما يلتبس به لا بالأجل نفسه والمراد بهذا الأجل - كما قال ابن عباس - يوم القيامة فإنه ينتهى اليه أمور الكل وتبدل فيه الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ، وقيل : مده البقاء المقدر لكل واحد ، ويؤيد الأول قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ۝ ﴾ فان ما أُنذروه يوم القيامة وما فيه من الطامة الثامة والاهوال العامة لا آخر أعمارهم . وجوز كون (ما) مصدرية أى عن إنذارهم بذلك الوقت على اضافة المصدر الى مفعوله الأول القائم مقام الفاعل ، والجملة حالية أى ما خلقنا الخلق إلا بالحق وتقدير الأجل الذى يجازون عنده

والحال أنهم غير مؤمنين به معرضون عنه غير مستعدين لحلوله ﴿قُلْ﴾ توبيخاً لهم وتبكيثاً ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني وقرئ (أرأيتمكم) ﴿مَا تَدْعُونَ﴾ ما تعبدون ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الاصنام أو جميع المعبودات الباطلة ولله الاظهر، والموصول مفعول أول - لأرأيتم - وقوله تعالى : ﴿أَرُونِي﴾ تأكيد له فانه بمعنى أخبروني أيضاً، وقوله تعالى : ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ جوز فيه أن تكون (ما) اسم استفهام مفعولاً مقديماً - لخلقوا - و (ذا) زائدة وأن تكون (ماذا) اسماً واحداً مفعولاً مقديماً أى شىء خلقوا وأن تكون اسم استفهام مبتدأ أو خبراً مقديماً و (ذا) اسم موصول خبراً أو مبتدأ مؤخرًا وجملة (خلقوا) صلة الموصول أى ما الذى خلقوه، وعلى الأولين جملة (خلقوا) مفعول ثان - لأرأيتم - وعلى ما بعدهما جملة (ماذا خلقوا) وجوز أن يكون الكلام من باب الاعمال وقد أعمل الثانى وحذف مفعول الأول واختاره أبو حيان ، وقيل : يحتمل أن يكون (أروني) بدل اشتغال من (أرأيتم) وقال ابن عطية : يحتمل (أرأيتم) وجهين . كونها متعدية و (ما) مفعولاً لها . وكونها منبهة لاتعمدى و (ما) استفهامية على معنى التوبيخ ، وهذا الثانى قاله الاخفش فى (أرأيت إذأوينا الى الصخرة) *
وقوله تعالى : ﴿مَنْ الْأَرْضُ﴾ تفسير للمبهم فى (ماذا خلقوا) قيل : والظاهر أن المراد من أجزاء الأرض وبقعها ، وجوز أن يكون المراد ما على وجهها من حيوان وغيره بتقديره مضاف يؤدى ذلك ، ويجوز أن يراد بالأرض السفليات مطلقاً ولعله أولى ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ أى شركة مع الله سبحانه ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ أى فى خلقها ، ولعل الأولى فيها أيضاً أن تفسر بالعلويات . و (أم) جوز أن تكون منقطعة وأن تكون متصلة ، والمراد نفى استحقاق آلهتهم للمعبودية على أنهم وجه ، فقد نفى أولاً مدخليتها فى خلق شىء من أجزاء العالم السفلى حقيقة واستقلالاً ، وثانياً مدخليتها على سبيل الشركة فى خلق شىء من أجزاء العالم العلوى ، ومن المعلوم أن نفى ذلك يستلزم نفى استحقاق المعبودية ، وتخصيص الشركة فى النظم الجليل بقوله سبحانه : ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ مع أنه لا شركة فيها وفى الأرض أيضاً لأن القصد الزعمهم بما هو مسلم لهم ظاهر لكل أحد والشركة فى الحوادث السفلية ليست كذلك لتلكهم وإيجادهم لبعضها بحسب الصورة الظاهرة . وقيل : الاظهر أن تجعل الآية من حذف معادل (أم) المتصلة لوجود دليله والتقدير لهم شرك فى الأرض أم لهم شرك فى السموات وهو كما ترى ، وقوله تعالى : ﴿أَتَتُونِي بِكِتَابٍ﴾ الى آخره تبكيث لهم بتمجيهم عن الاتيان بسند نفلى بعد تبكيثهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلى فهو من جملة القول أى اتتوني بكتاب الهى كائن ﴿مَنْ قَبْلَ هَذَا﴾ الكتاب أى القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم ﴿أَوْ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ﴾ أى بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين شاهدة باستحقاقهم العبادة ، فالاثارة مصدر كالضلالة بمعنى البقية من قولهم : سمت الناقة على أثارة من لحم أى بقية منه . وقال القرطبي : هى بمعنى الاسناد والرواية ، ومنه قول الاعشى : ان الذى فيه تماريتما بين السامع والآثر وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن . وقادة : المعنى أو خاصة من علم فاشتقاقها من الاثرة فكأنها قد آثر الله تعالى بها من هى عنده ، وقيل : هى العلامة . وأخرج أحمد . وابن المنذر . وابن أبى حاتم . والطبرانى . وابن مردويه من طريق أبى سلمة بن عبد الرحمن عن ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (أو اثارة من علم) قال : الخط ، وروى ذلك أيضاً موقوفاً على ابن عباس ، وفسر بعلم الرمل كما فى حديث أبى هريرة مرفوعاً

«كان نبي من الأنبياء يخط فمن صادف مثل خطه علم» ، وفي رواية عن الخبر أنه قال: «أو أثارة من علم (خط) كان يخطه العرب في الأرض ، وهذا ظاهر في تقوية أمر علم الرمل وأنه شيء له وجه ويرشد إلى بعض الأمور ، وفي ذلك كلام يطالب من محله . وفي البحر قيل : إن صح تفسير ابن عباس الأثارة بالخط في التراب كان ذلك من باب التهكم بهم وبأقوالهم ودلائلهم ، والتنوين للتقليل و (من علم) صفة أى أو اثتوني بأثارة قليلة كائنة من علم (**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ع**) في دعواكم فإنها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقلى أو دليل نقلى وحيث لم يقم عليها شيء منهم ما وقد قاما على خلافها تبين بطلانها . وقرئ (**إثارة**) بكسر الهمزة وفسرت بالمناظرة فإنها تثير المعاني ، قيل : وذلك من باب الاستعارة على تشبيه ما يبرز ويتحقق بالمناظرة بما يثور من الغبار النائر من حركات الفرسان . وقرأ على . وابن عباس رضى الله تعالى عنهم بخلاف عنها . وزيد بن على . وعكرمة . وقتادة . والحسن . والسلى . والاعمش . وعمر بن ميمون (**أثرة**) بغير الفوهى واحدة جمعها أثر كقتره وقتر ، وعلى كرم الله تعالى وجهه . والسلى . وقتادة أيضاً باسكان الثاء وهى الفعل الواحدة مما يؤثر أى قد قنعت منكم بخبر واحد أو أثر واحد يشهد بصحة قولكم ؛ وعن السكسائي ضم الهمزة وإسكان الثاء فهى اسم للقدار كالغرفة لما يغرف باليد أى اثتوني بشيء ما يؤثر من علم . وروى عنه أيضاً أنه قرأ (**أثرة**) بكسر الهمزة وسكون الثاء وهى بمعنى الأثرة بفتح الحاء (**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ**) إنكار لأن يكون أضل من المشركين ، وذكر بعض الفضلاء أن المراد نفي أن يكون أحد يساويهم في الضلالة وإن كان سبب التركيب لنفي الاضل ، وقد مر ما يتعلق بذلك فتذكر أى هو أضل من كل ضال حيث ترك دعاء المجيب القادر المستجمع لجميع صفات الكمال كما يشعر بذلك الاسم الجليل ودعا من ليس شأنه الاستجابة له وإسعافه بمطلوبه (**إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**) أى مادامت الدنيا ، وظاهره أنه بعدها تقع الاستجابة وليس بمراد لتحقيق ما يدل على خلافه ، فهذه الغاية على ما في الاتصاف من الغايات المشعرة بأن ما بعدها وإن وافق ما قبلها إلا أنه أزيد منه زيادة بينة تلحقه بالمباين حتى كأن الحالتين وإن كانتا نوعاً واحداً لتفاوت ما بينهما كالشيء وضده ، وذلك أن الحالة الأولى التى جعلت غايتها القيامة لا تزيد على عدم الاستجابة ، والحالة الثانية التى فى القيامة زادت على عدم الاستجابة بالعداوة وبالكفر بعبادتهم إياهم كما ينطق به ما بعد فهو من وادى قوله تعالى : فى سورة الزخرف (**بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمُ الْآيَةَ**) ونحوه قوله سبحانه فى إبليس : (**إِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**) وقد يقال : المراد بهذه الغاية التأييد كما قيل فى قوله تعالى : (**خَالِدِينَ فِيهَا**) مادامت السموات) وقولهم : مادام ثبير ، وقال بعضهم : لا إشكال فى الآية لأن الغاية مفهوم فلا تعارض المنطوق ، وفيه بحث ، ففى الدرر والينبوع عن البديع أن الغاية عندنا من قبيل إشارة النص لا المفهوم .

وقال الزركشى فى شرح جمع الجوامع : ذهب القاضى أبو بكر إلى أن الحكم فى الغاية منطوق وادعى أن أهل اللغة صرحوا بأن تعليق الحكم بالغاية موضوع على أن ما بعدها خلاف ما قبلها لأنهم اتفقوا على أنها ليست كلاماً مستقلاً فان قوله تعالى : (**حَتَّى تَسْكَحَ زَوْجَا غَيْرِهِ**) وقوله سبحانه : (**حَتَّى يَطْهَرُنَ**) لا بد فيه من إضمار لضرورة تسمي الكلام ؛ وذلك أن المضمرة إما ضد ما قبله أولاً والثانى باطل لأنه ليس فى الكلام ما يدل عليه فيقدر حتى يطهرن فاقربوهن ، حتى تسكح زوجا غيره فتحل ، قال : والمضمرة بمنزلة المفعول فانه إنما

يضمّر لسبقه الى ذهن العارف باللسان ، وعليه جرى صاحب البديع من الحنفية فقال : هو عندنا من دلالة الإشارة لا من المفهوم ، لكن الجمهور على أنه مفهوم ومنعوا وضع اللغة لذلك انتهى ، ويعلم من هذا أن قوله في التلويح : إن مفهوم الغاية متفق عليه لا يخلو من الخلل ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ﴾ الضمير الاول للمفعول (يدعوا) أعني (من لا يستجيب) والثاني لفاعله ، والجمع فيهما باعتبار معنى (من) كما أن الافراد فيما سبق باعتبار لفظها أى والذين يدعون من لا يستجيبون لهم عن دعائهم إياهم ﴿غَافِلُونَ ه﴾ لا يسمعون ولا يدرون ، أما إن كان المدعو جماداً فظاهر ، وأما إن كان من ذوى العقول فإن كان من المقبولين المقربين عند الله تعالى فلاشتغاله عن ذلك بما هو فيه من الخير أو كونه في محل ليس من شأن الذى فيه أن يسمع دعاء الداعي للبعد كعيسى عليه الصلاة والسلام اليوم أو لأن الله تعالى يصون سمعه عن سماع ذلك لأنه لكونه مما لا يرضى الله تعالى قوله لو سمعه ، وإن كان من أعداء الله تعالى كشياطين الجن والانس الذين عبدوا من دون الله تعالى فإن كان ميتاً فلاشتغاله بما هو فيه من الشر ، وقيل : لأن الميت ليس من شأنه السماع ولا يتحقق منه سماع الا معجزة كسماع أهل القلب ، وفي هذا كلام تقدم بعضه ، وإن كان حياً فإن كان بعيداً مثلاً فالامر ظاهر ، وإن كان قريباً سليم الحاسة فقيل : الكلام بالنسبة اليه بعد تأويل الغفلة بعدم السماع وعلى التغليب لندرة هذا الصنف * ومن الناس من أول الغفلة بعدم الفائدة وتعقب بأنه حينئذ لا يكون لوصفهم بالغفلة بعد وصفهم بعدم الاستجابة كثير فائدة ، واعتبر بعضهم التغليب من غير تأويل بمعنى أنه غلب من يتصور منه الغفلة حقيقة على غيره ، وهذا كالتغليب في التعبير عن تلك الآلهة بما هو موضوع لأن يستعمل في العقلاء ، وإن كانت الآية في عبدة الاصنام ونحوها مما لا يعقل تجوز في الغفلة وكان التعبير بما هو للعاقل لاجراء العبدة إياها مجرى العقلاء .

وقال بعضهم : على جعلها في عبدة الاصنام . إن وصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتكلم بها فتدبر ولا تغفل ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ﴾ عند قيام القيامة ﴿كَانُوا﴾ أى المعبودون ﴿لَهُمْ﴾ أى العابدين ﴿أَعْدَاءُ﴾ شديدى العداوة ﴿وَكَانُوا﴾ أى المعبودون أيضاً ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أى بعبادة الكفرة إياهم ﴿كَافِرِينَ ه﴾ مكذبين ، والامر ظاهر في ذوى العقول . وأما في الاصنام فقد روى ان الله تعالى يخلق لها إدراكاً وينطقها فتتبرأ عن عبادتهم وكذا تكون أعداء لهم ، وجوز كون تكذيب الاصنام بلسان الحال لظهور أنهم لا يصلحون للعبادة وأنهم لا تنفع لهم كما توهموه أولاً حيث قالوا : (ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله) ورجوا الشناعة منهم . وفسرت العداوة بالضرر على أنها مجاز مرسل عنه فمعنى (كانوا لهم أعداء) كانوا لهم ضارين ، وما ذكرناه في بيان الضائر هو الظاهر ، وقيل : ضمير (هم) المرفوع البارز والمستتر في قوله تعالى : (وهم عن دعائهم غافلون) للكفرة الداعين وضمير (دعائهم) لهم أو للمعبودين ، والمعنى أن الكفار عن ضلالهم بأنهم يدعون من لا يستجيب لهم غافلون لا يتأملون ما عليهم في ذلك ، وفيه من ارتكاب خلاف الظاهر ما فيه ، وفي الضائر بعد نحو ذلك ، والمعنى إذا حشر الناس كان الكفار أعداء لآلهمم الباطلة لما يرون من ترتب العذاب على عبادتهم إياها وكانوا لذلك منكبين انهم عبدوا غير الله تعالى كما حكى الله تعالى عنهم

أنهم يقولون : (والله ربنا ما كنا مشركين) وتعقب بأن السياق لبيان حال الآلهة معهم لا عكسه ، ولأن كفرهم حينئذ إنكار لعبادتهم وتسميته كفرا خلاف الظاهر ﴿ وَإِذَا تَقَالَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ ﴾ أى واضحات أو مبيّنات ما يلزم بيانه ﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ ﴾ أى الآيات المتلوة ، ووضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيقتها ووجوب الإيمان بها كما وضع الموصول ووضع ضمير المتلوة عليهم تسجيلا عليهم بكال الكفر والضلالة وجوز كون المراد - بالحق - النبوة أو الاسلام فليس فيه موضوعا موضع الضمير ، والاول أظهر ، واللام متعلقة - يقال - على أنها لام العلة أى قالوا لأجل الحق وفى شأنه وما يقال فى شأن شئ مسوق لأجله ، وجوز تعلقه - بكفروا - على أنه بمعنى الباء أو حمل الكفر على نقيضه وهو الايمان فانه يتعدى باللام نحو (أثمن لك) وهو خلاف الظاهر كما لا يخفى ﴿ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ أى فى وقت مجيئه إياهم ، ويفهم منه فى العرف المبادرة وتستلزم عدم التأمل والتدبر فكأنه قيل: بادروا أول سماع الحق من غير تأمل الى أن قالوا : ﴿ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ أى ظاهر كونه سحرا ، وحكمهم بذلك على الآيات لعجزهم عن الاتيان بمثالها ، وعلى النبوة لما معها من الخارق للعادة ، وعلى الاسلام لتفريقه بين المرء وزوجه وولده ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ اضراب وانتقال من حكاية شناعته السابقة الى حكاية ما هو أشنع منها وهو الكذب عمدا على الله تعالى فان الكذب خصوصا عليه عز وجل متفق على قبحه حتى ترى كل أحد يشتم من نسبته اليه بخلاف السحر فانه وإن قبح فليس بهذه المرتبة حتى تسكاد تعد معرفته من الامور المرغوبة ، وما فى (أم) المنقطعة من الهمزة معنى للانكار التوبيخى المتضمن للتعجب من نسبته الى الافتراء مع قولهم: هو سحر لعجزهم عنه ، والضمير المنسوب فى (افتراه) كما قال أبو حيان (للحق) الذى هو الآيات المتلوة ، وقال بعضهم : للقرآن الدال عليه ما تقدم أى بل يقولون افتراه .

﴿ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ ﴾ على الفرض ﴿ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ أى عاجلى الله تعالى بعقوبة الافتراء عليه سبحانه فلا تقدرّون على كفه عز وجل عن معالجتى ولا تطيقون دفع شئ من عقابه سبحانه عنى فكيف أفتريه وأعرض لعقابه ، لجواب (إن) فى الحقيقة محذوف وهو عاجلى وما ذكر مسبب عنه أقيم مقامه أو تجوز به عنه ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ بالذى تأخذون فيه من القدح فى وحى الله تعالى والطعن فى آياته وتسميته سحرا تارة وافتراء أخرى ، واستعمال الافاضة فى الاخذ فى الشئ والشروع فيه قولا كان أو فعلا مجاز مشهور ، وأصلها إسالة الماء يقال: أفاض الماء إذا ساله ، وما أشرنا اليه من كون (ما) موصولة وضمير فيه عائد عليه هو الظاهر وجوز كون (ما) مصدرية وضمير (فيه) للحق أو للقرآن ﴿ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ حيث يشهدلى سبحانه بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود ، وهو وعيد بجزاء إفاضتهم فى الطعن فى الآيات ، واستؤنف لانه فى جواب سؤال . قدر ، و(به) فى موضع الفاعل - بكفى - على أصح الاقوال ، و(شهدا) حال و(بيني وبينكم) متعاق به أو بكفى ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٨ ﴾ وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن وإشعار بحلم الله تعالى عليهم اذ لم يعاجلهم سبحانه بالعقوبة وأمهلهم جل شأنه ليتداركوا أمورهم ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ ﴾ أى بديما منهم يعنى لست مبتدعا لأمر يخالف أمورهم بل جئت بما جاؤا به من الدعوة إلى التوحيد أو فعلت نحو ما فعلوا من إظهار ما آتانى الله تعالى من المعجزات دون الاتيان بالمقترحات كلها ، فقد قيل : إنهم كانوا

يقترحون عليه عليه الصلاة والسلام آيات عجيبة ويسألونه عن المغيبات عناداً ومكابرة فامر صلى الله تعالى عليه وسلم أن يقول لهم ذلك، ونظير (بدع) الخف بمعنى الخفيف والخل بمعنى الخليل فهو صفة مشبهة أو مصدر مؤول بها، وجوز ابقاؤه على أصله . وقرأ عكرمة . وأبو حيوة . وابن أبي عبة (بدعا) بفتح الدال ، وخرج على أنه جمع بدعة كسدره وسدر ، والكلام بتقدير مضاف أى ذا بدع أو مصدر والاختبار به مبالغة أو بتقدير المضاف أيضاً وقال الزمخشري : يجوز أن يكون صفة على فعل كقولهم . دين قيم ولحم زيم أى متفرق ، قال في البحر : ولم يثبت سيبويه صفة على هذا الوزن الاعدى حيث قال : ولا نعلمه جاء صفة إلا في حرف معتل يوصف به الجمع وهو قوم عدى ، واستدرك عليه زيم وهو استدراك صحيح ، وأما قيم فقصور من قيام ولولا ذلك لصحت عينه كما صحت في حول وعوض ، وأما قول العرب : مكان سوى وماء روى ورجل رضار ماء صرى فتأولة عند التصريفيين إما بالمصدر أو بالقصر ، وعن مجاهد . وأبو حيوة (بدعا) بفتح الباء وكسر الدال وهو صفة كحذره (وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بَكُمْ) أى فى الدارين على التفصيل كما قيل .

وأخرج ابن جرير عن الحسن أنه قال فى الآية : أما فى الآخرة فعاذ الله تعالى قد علم ﷺ أنه فى الجنة حين أخذ ميثاقه فى الرسل ولكن ما أدري ما يفعل بى فى الدنيا أخرج كما أخرجت الانبياء عليهم السلام من قبل أم أقتل كما قتلت الانبياء عليهم السلام من قبل ولا بكم أمتى المكذبة أم أمتى المصدقة أم أمتى المرمية بالحجارة من السماء قدفا أم المخسوف بها خسفا ثم أوحى اليه (وإذ قلنا لك أن ربك أحاط بالناس) يقول سبحانه : أحاط لك بالعرب أن لا يقتلوك فحرف عليه الصلاة والسلام أنه لا يقتل ثم أنزل الله تعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا) يقول : أشهد لك على نفسه أنه سيظهر دينك على الاديان ثم قال سبحانه له عليه الصلاة والسلام فى أمته : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فىهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) فأخبره الله تعالى بما صنع به وما يصنع بأمرته ، وعن السكلى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له أصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين : حتى متى نكون على هذا؟ فقال : وما أدري ما يفعل بى ولا بكم أترك بمكة أم أومر بالخروج إلى ارض قد رفعت لى ورأيتها يعنى فى منامه ذات نخل وشجر . وحكى فى البحر عن مالك ابن أنس . وقتادة . وعكرمة . والحسن أيضاً . وابن عباس أن المعنى ما يفعل بى ولا بكم فى الآخرة ، وأخرج أبو داود فى ناسخه من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه قال فى الآية : نسختها الآية التى فى الفتح يعنى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الناس فبشرهم بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال رجل من المؤمنين : هنيئاً لك يا نبي الله قد علمنا الآن ما يفعل بك فإذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى فى سورة الاحزاب (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً) وقال سبحانه : (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ولا يكفر عنهم سيئاتهم) فبين الله تعالى ما يفعل به وبهم . واستشكل على تقدير صحته بأن النسخ لا يجرى فى الخبر فاعل المنسوخ الامر بقوله تعالى : (قل) ان قلنا : إنه هنا للتكرار أو المراد بالنسخ مطلق التغيير . وقال أبو حيان : هذا القول ليس بظاهر بل قد أعلم الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام من أول الرسالة بحاله وحال المؤمن وحال الكافر فى الآخرة ، وقال الامام : أكثر المحققين استبعدوا هذا القول واحتجوا بأن النبي لا بد أن يعلم من نفسه كونه نبياً ومتى علم ذلك علم أنه لا يصدر عنه الكبائر وأنه مغفور وإذا كان كذلك امتنع كونه (م - ٢ - ج - ٢٦ - تفسير روح المعاني)

شاكاً في أنه هل هو مغفور له أم لا، وبأنه لاشك أن الأنبياء أرفع حالا من الأولياء، وقد قال الله تعالى فيهم: (الإن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فكيف يعتقد بقاء الرسول وهو رئيس الأنبياء وقُدوة الأولياء شاكاً في أنه هل هو من المغفورين أم لا، وقد يقال: المراد أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام ما يدري ذلك على التفصيل، وما ذكر لا يتعين فيه حصول العلم التفصيلي لجواز أن يكون عليه الصلاة والسلام قد أعلم بذلك في مبدأ الامر اجمالاً بل في اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد بحال كل شخص شخص على سبيل التفصيل بأن يكون قد أعلم عليه الصلاة والسلام بأحوال زيد مثلاً في الآخرة على التفصيل وبأحوال عمرو وكذلك وهكذا وقفه وفي صحيح البخاري وأخرجه الامام أحمد والنسائي وابن مردويه عن أم العلاء، وكانت بايعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنها قالت لما مات عثمان بن مظعون: رحمة الله تعالى عليك يا أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله تعالى فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: وما يدريك أن الله تعالى أكرمك؟ أما هو فقد جاءه اليقين من ربه وإنى لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم قالت أم العلاء: فوالله ما أذكرى بعده أحداً، وفي رواية ابن حبان والطبراني عن زيد بن ثابت أنها قالت لما قبض طرب: أبا السائب نفساً إنك في الجنة فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: وما يدريك؟ قالت: يا رسول الله عثمان بن مظعون قال: أجل وما رأينا الا خيراً والله ما أدري ما يصنع بي، وفي رواية الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس أنه لما مات قالت امرأته أو امرأه: هنيئاً لك ابن مظعون الجنة فنظر اليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نظر مغضب وقال: وما يدريك؟ والله إنى لرسول الله وما أدري ما يفعل الله بي فقالت: يا رسول الله صاحبك وفارسك وأنت أعلم فقال: أرجو له رحمة ربه تعالى وأخاف عليه ذنبه، لكن في هذه الرواية أن ابن عباس قال: وذلك قبل أن ينزل (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وعن الضحاک المراد لا أدري ما أمر به ولا ما تؤمرون به في باب التكليف والشرائع والجهاد ولا في الابتلاء والامتحان، والذي أختره أن المعنى على نفى الدراية من غير جهة الوحى سواء كانت الدراية تفصيلية أو اجمالية وسواء كان ذلك في الامور الدينية أو الاخرية واعتقد أنه ﷺ لم ينتقل من الدنيا حتى أوتى من العلم بالله تعالى وصفاته وشؤنه والعلم بأشياء يعد العلم بها كلاً مالم يؤته أحد غيره من العالمين، ولا أعتقد فوات كمال بعدم العلم بحوادث دنيوية جزئية كعدم العلم بما يصنع زيد مثلاً في بيته وما يجري عليه في يومه أو غده، ولا أرى حسناً قول القائل: إنه عليه الصلاة والسلام يعلم الغيب وأستحسن أن يقال بدله: إنه ﷺ أطلع الله تعالى على الغيب أو علمه سبحانه إياه أو نحو ذلك، وفي الآية رد على من ينسب لبعض الأولياء علم كل شئ من السكيات والجزئيات، وقد سمعت خطيباً على منبر المسجد الجامع المنسوب للشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره يوم الجمعة قال بأعلى صوت: يا باز أنت أعلم بي من نفسي، وقال لي بعض: إنى لأعتقد أن الشيخ قدس سره يعلم كل شئ منى حتى منابت شعري، ومثل ذلك مما لا ينبغي أن ينسب إلى رسول الله ﷺ فكيف ينسب إلى من سواه؟ فايق العبد مولاه، وفيما تقدم من الاخبار في شأن عثمان بن مظعون رد أيضاً على من يقول فيمن دونه في الفضل أو من لم يبشره الصادق بالجنة والكرامة نحو ما قيل فيه: نعم ينبغي الظن الحسن في المؤمنين أحياء وأمواتا ورجاء الخير لكل منهم قاله تعالى ارحم الراحمين، هذا والظاهر أن (ما) استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء والجملة بعدها خبر وجملة المبتدا والخبر معلق عنها الفعل القلبي وهو اما ماعد لواحد او اثنين، وجوز أن تكون (ما) موصولة في محل نصب على المفعولية لفعل الدراية وهو حينئذ متعد لواحد

والجمله بعدها صلة ، وأن تكون حرفاً مصدرياً فالمصدر مفعول (ادرى) والاستفهامية أقضى لحق مقام التبرى عن الدراية ، و (لا) لتذكير النفي المنسحب على (ما يفعل) النخ وتأكيداً كيداً ، ولو لا اعتبار الانسحاب لكان التركيب ما يفعل بى وبكم دون (لا) لأنه ليس محلاً للنفي ولا لزيادة لا ونظير ذلك زيادة (من) في قوله تعالى : (ما يود الذين كفروا أن ينزل عليكم من خير) لانسحاب النفي فانه إذا انتفت ودادة التنزيل انتفى التنزيل ، وزيادة الباء في قوله سبحانه : (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر) لانسحاب النفي ، على أن مع ما فى حيزها ولولاه ما زيدت ألباء فى الخبر ، وقيل : الاصل ولا ما يفعل بكم فاختصر ، وقيل : ولا بكم ، وقرأ زيد بن على وابن أبى عبله (يفعل) بالبناء للفاعل وهو ضمير الله عز وجل ﴿ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ ﴾ أى ما فعل الاتباع ما يوحى إلى على معنى قصر أفعاله ﷺ على اتباع الوحي ، والمراد بالفعل ما يشمل القول وغيره. وهذا جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه عليه الصلاة والسلام من الغيوب ، والخطاب السابق للمشر كين ه وقيل : عن استعجال المسلمين أن يتخلصوا عن أذية المشركين والخطاب السابق لهم ، والاول أوفق لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ أنذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى إلى ﴿ مُبِينٌ ﴾ بين الانذار بالمعجزات الباهرة ، والحصر لإضافى . وقرأ ابن عمير (يوحى) على البناء للفاعل ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ ﴾ أى ما يوحى إلى من القرآن ، وقيل : الضمير للرسول ، وفيه أن الظاهر لو كان المعنى عليه كنت ﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ لا سحراً ولا مفترى كما تزعمون ﴿ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ﴾ الواو للحال والجمله حال بتقدير قد على المشهور من الضمير فى الخبر وسطت بين أجزاء الشرط اهتماماً بالتسجيل عليهم بالكفر أو للعطف على (كان) كفى قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ ﴾ من عند الله ثم كفرتم به) وكذا الواو فى قوله تعالى : ﴿ وَشَهِدَ شَهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الا انها تعطفه بما عطف عليه على جمله ما قبله ، فالجمل المذكورات بعد الواوات ليست متعاطفة على نسق واحد بل مجموع (شاهد . فأمن واستكبرتم) معطوف على مجموع (كان) وما معه ، مثله فى المفردات (هو الاول والآخر والظاهر والباطن) والمعنى ان اجتمع كونه من عند الله تعالى مع كفركم واجتمع شهادة الشاهد فإيمانه مع استكباركم عن الايمان ، وسيأتى إن شاء الله تعالى الكلام فى جواب الشرط وفى مفعولى (أرأيتم) وضمير (به) عائد على ما عاد عليه اسم كان وهو ما يوحى من القرآن أو الرسول ، وعن الشعبي انه للرسول ، ولعله يقول فى ضمير (كان) أيضاً كذلك وكذا فى ضمير ﴿ عَلَىٰ مِثْلِهِ ﴾ لئلا يلزم التفسير . وأنت تعلم أن الظاهر رجوع الضمائر كلها للقرآن ، وتنوين (شاهد) للتنخيم ، وكذا وصفه بالجار والمجرور أى وشهد شاهد عظيم الشأن من بنى اسرائيل الواقفين على شئون الله تعالى واسرار الوحي بما أوتوا من التوراة على مثل القرآن من المعانى المنطوية فى التوراة من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها فى الحقيقة عين ما فيه كما يعرب عنه قوله تعالى : (وانه لفي زبر الاولين) على وجهه ، وكذا قوله سبحانه : (إن هذا فى الصحف الاولى) والمثلية باعتبار تاديتها بعبارات أخرى أو على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكره ، وقيل : على مثل شهادته أى لنفسه بأنه من عند الله تعالى كأنه لا عاجزه يشهد لنفسه بذلك ، وقيل مثل كناية عن القرآن نفسه للبالغة ، وعلى تقدير كون الضمير للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فسر المثل بموسى عليه السلام

والفاء في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّن ﴾ أى بالقرآن للسببية فيكون إيمانه مترتبا على شهادة ، له بمطابقته للوحي ، ويجوز أن تكون تفصيلية فيكون إيمانه به هو الشهادة له ، والمعنى على تقدير أن يراد فأمن بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهر بأدنى التفات ، وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ أى عن الايمان معطوف على ما أشرنا اليه على (شهد شاهد) وجوز كونه معطوفا على (أمن) لأنه قسيمه ويجعل السكل معطوفا على الشرط ، ولا تكرار في (استكبرتم) لأن الاستكبار بعد الشهادة والكفر قبلها ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٠ ﴾ أى الموسومين بهذا الوصف ، استئناف بياني في مقام التعليل للاستكبار عن الايمان ، ووصفهم بالظلم للاشعار بعلّة الحكم فتشعر هذه الجملة بأن كفرهم به لاضلالهم المسبب عن ظلمهم وهو دليل جواب الشرط ولذا حذف ومفعولا (أرايتم) محذوفان أيضا لدلالة المعنى عليهما ، والتقدير أرايتم حالكم إن كان كذا فقد ظلمتم أستم ظالمين ، فالمفعول الاول حالكم والثاني أستم ظالمين ، والجواب فقد ظلمتم ، وقال ابن عطية : فى (أرايتم) يحتمل أن تكون منبهة فى لفظ موضوع للسؤال لا تقتضى مفعولا ، ويحتمل أن تكون جملة (إن كان) الخ سادة مسد مفعولها ، وهو خلاف ما قرره محققو النجاة فى ذلك . وقدر الزمخشري الجواب أستم ظالمين بغير فاء . ورده أبو حيان بأن الجملة الاستفهامية إذا وقعت جوابا للشرط لزمتها الفاء فان كانت الاداة الهمة تقدمت على الفاء والا تأخرت ، ولعله تقدير معنى لا تقدير إعراب ، وقدره بعضهم أفتؤمنون لدلالة (فأمن) وقدره الحسن فن أضل منكم لقوله تعالى : (قل أرايتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد) وقوله سبحانه : (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) وقيل : التقدير فمن الحق منا ومنكم ومن المبطل ؟ وقيل : تهلكون ، وقيل : هو (فأمن واستكبرتم) أى فقد آمن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم به أو الشاهد واستكبرتم أتم عن الايمان ، وأكثرها كما ترى •

والشاهد عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه عند الجمهور . وابن عباس . والحسن . ومجاهد . وقتادة . وابن سيرين . والضحاك . وعكرمة فى رواية ابن سعد . وابن عساكر عنه . وفى الكشف فى جعله شاهدا والسورة مكية بحث ولهذا استثنيت هذه الآية ، وتحقيقه أنه نزل ما سيكون منزلة الواقع ولهذا عطف (شهد) وما بعده على قوله تعالى : (كان من عند الله وكفرتم) ليعلم أنه مثله فى التحقيق فيكون على أسلوب قوله سبحانه : (كما أنزلنا على المقتسمين) أى أنذر قريشا مثل ما أنزلناه على يهود بنى قريظة وقد أنزل عليهم بعد سبع سنين من نزول الآية ، ومصيب الإلزام فى قوله تعالى : (فأمن) كأنه قيل : أخبروني إن يؤمن به عالم من بنى اسرائيل أى عالم لما تحقق عنده أنه مثل التوراة أستم تكونون أضل الناس ، ففيه الدلالة على أنه مثل التوراة يجب الايمان به شهد ذلك الشاهد أولم يشهد لأن تلك الشهادة يعقبها الايمان من غير مهلة فلو لم يؤمن لم يكن عالما بما فى التوراة وهذا يصلح جوابا مستقلا من غير نظر الى الاول فافهم ، وقول من قال : الشاهد عبد الله على هذا بيان للواقع وأنه كان ممن شهد وآمن لا ان المراد بلفظ الآية عبد الله خصوصا ، وعلى الوجهين لا بد من تأويل قول سعد ، وقد تقدم فى حديث الشيخين وغيرهما وفيه نزل « وشهد شاهد » بأن المراد فى شأنه الذى سيحدث على الاول أو فيه وفيمن هو على حاله كأنه قيل : هو من النازلين فيه لأنه كان من الشاهدين انتهى وتعقب قوله : إنه نزل ما سيكون منزلة الواقع بأنه لا حاجة الى ذلك التنزيل على تقدير مكيتها ، وكون

الشاهد ابن سلام لمكان العطف على الشرط الذي يصير به الماضي مستقبلا وحينئذ لاضير في شهادة الشاهد بعد نزولها، ومع هذا فالظاهر من الاخبار أن النزول كان في المدينة وأنه بعد شهادة ابن سلام . أخرج أبو يعلى والطبراني والحاكم بسند صحيح عن عوف بن مالك الاشجعي قال : انطلق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم فكروها دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : أروني اثني عشر رجلا منكم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله يحبط الله تعالى عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي عليه فسكتوا فما أجابه منهم أحد ثم رد عليهم عليه الصلاة والسلام فلم يجبه أحد فقلت فلم يجبه أحد فقال : أيتيم فوالله لا أنا الحاشر وأنا العاقب وأنا المقي آمنتكم أو كذبتكم ثم انصرف صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا معه حتى كدنا أن نخرج فاذا رجل من خلفه فقال : يا أنت يا محمد فأقبل فقال ذلك الرجل : أى رجل تعلمون فيكم يامعشر اليهود ؟ قالوا : والله ما نعلم فينا رجلا أعلم بكتاب الله تعالى ولا أفقه منك ولا من أهلك ولا من جدك قال : فاني أشهد بالله أنه النبي الذي تجدونه في التوراة والانجيل فقالوا : كذبت ثم ردوا عليه وقالوا شراً فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا وابن سلام فأنزل الله تعالى : (قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل) الآية ، وروى حديث شهادته وإيمانه على وجه آخر ، ولا يظهر لي الجمع بينه وبين ما ذكر ، وهو أيضا ظاهر في كون النزول بعد الشهادة . وأخرج عبد بن حميد عن سعيد بن جبير قال : جاء ميمون بن يامين الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان رأس اليهود بالمدينة فأسلم وقال : يا رسول الله ابعت اليهم - يعنى اليهود - فاجعل بينك وبينهم حكما من أنفسهم فانهم سيرضون فيبعث عليه الصلاة والسلام اليهم وأدخله الداخل فأثروه فخاطبوه مليا فقال لهم : اختاروا رجلا من أنفسكم يكون حكما بيني وبينكم قالوا : فانا قد رضينا ميمون بن يامين فأخرجه اليهم فقال لهم ميمون : لنشهد أنه رسول الله وأنه على الحق فأبوا أن يصدقوه فأنزل الله تعالى فيه (قل أرايتم) الآية ، وهو ظاهر في مدنية الآية وأن نزولها قبل شهادة الشاهد لكنه ظاهر في أن الشاهد غير عبد الله بن سلام ، وكونه كان يسمى بذلك قبل لم اره ، ولا يظهر لي وجه التعبير به دون المشهود إن كان ، والذي رأيت في الاستيعاب في ترجمة عبد الله أنه ابن سلام بن الحرث الاسرائيلي الانصاري يكنى أبا يوسف وكان اسمه في الجاهلية الحصين فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله والله تعالى أعلم .

ومن كذب اليهود وجهلهم بالتاريخ ما يعتقدونه في عبد الله بن سلام انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين سافر الى الشام في تجارة لخديجة رضى الله تعالى عنها اجتمع بأخبار اليهود وقص عليهم أحلامه فعملوا أنه صاحب دولة فأصبحوه عبد الله بن سلام وبقي معه مدة فتعلم منه علم الشرائع والامم السالفة وأفرطوا في الكذب الى أن نسبوا القرآن المعجز الى تأليف عبد الله بن سلام وعبد الله هذا ليس له إقامة بمكة ولا تردد اليها ، ولم ير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلا في المدينة وأسلم إذ قدمها عليه الصلاة والسلام أو قبل وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم بمامين على ما حكاه في البحر عن الشعبي ، فما أ كذب اليهود دوابهم لعنهم الله تعالى ، وناهيك من طائفة ماذم في القرآن طائفة مثلها . وأخرج سعيد بن منصور . وابن جرير . وابن المنذر عن مسروق أن الشاهد هو موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام ، وقد تقدم أنه كان يدعى مكية الآية وينكر نزولها في ابن سلام ويقول : إنما كانت خصومة خاصم بها محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكأنه على هذا لا يحتاج إلى القول بأنها نزلت بخصوص شاهد ، وأيد عدم إرادة الخصوص بأن (شاهد) في الآية نكرة والنسكرة في سياق الشرط تعم ، وأنا أقول : بكون التنوين في

(شاهد) للتعظيم وبمدنية الآية ونزولها في ابن سلام ، والخطابات فيها . مطلقا لكفار مكة ، وربما يظن على بعض الروايات أنها لليهود وليس كذلك ، وهم المعنيون أيضا بالذين كفروا في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ إلى آخره ، وهو حكاية لبعض آخر من أقوالهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به . وفيه تحقيق لاستكبارهم أي وقال كفار مكة : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي لا جملهم وفي شأنهم فاللام للتعليل كما سمعت في (قال الذين كفروا للحق) . وقيل : هي لام المشافهة والتبليغ والتفتوا في قلوبهم : ﴿ لَوْ كَانَ ﴾ أي ما جاء به صلى الله تعالى عليه وسلم من القرآن ، وقيل : الايمان ﴿ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾ ولولاه لقالوا : سبقتمونا بالخطاب أو لما سمعوا أن جماعة آمنوا خاطبوا جماعة أخرى من المؤمنين أي قالوا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقنا إليه أولئك الذين بلغنا إيمانهم • وتعقب بأن هذا ليس من مواطن الالتفات ، وكونهم قصدوا تحقير المؤمنين بالغيبة لا وجه له ، وكون المشافهين طائفة من المؤمنين والمخبر عنهم طائفة أخرى خلاف الظاهر ، فالأولى كونها للتعليل وقالوا ذلك لما رأوا أن أكثر المؤمنين كانوا فقراء ضعفاء كهار . وصهيب . وبلال . وكانوا يزعمون أن الخير الديني يتبع الخير الدنيوي وأنه لا يتأهل للاول إلا من كان له القدر المعلى من الثاني ، ولذا قالوا : (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وخطوهم في ذلك بما لا يخفى •

وأخرج ابن المنذر عن عون بن أبي شداد قال : كانت لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أدة أسلمت قبله يقال لها زينة (١) فكان رضى الله تعالى عنه يضربها على إسلامها وكان كفار قريش يقولون : لو كان خيرا ما سبقتنا إليه زينة فأنزل الله تعالى في شأنها (وقال الذين كفروا) الآية ، ولعلهم لم يريدوا زينة بخصوصها بل من شابهها أيضا . وفي الآية تغليب المذكر على المؤنث ، وقال أبو المتوكل : أسلم أبو ذر ثم أسلمت غفار فقالت قريش ذلك ، وقال السكبي . والزجاج . قال ذلك بنو عامر بن صعصعة . وغطفان . وأسد . وأشجع لما أسلم . أسلم . وجهينة . وزينة . وغفار . وقال الثعالبي : هي مقالة اليهود حين أسلم ابن سلام وأصحابه منهم ، ويلزم عليه القول بأن الآية مدنية وعدها في المستنفيات أو كون «قال» فيها كنادى في قوله تعالى : (ونادى أصحاب الأعراف) وهذا كما ترى والمعول عليه ما تقدم ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ﴾ أي بالقرمان ، وقيل : بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، و«إذ» على ما اختاره جار الله ظرف لمقدر دل عليه السابق واللاحق أي وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم واستكبارهم ، وقوله تعالى : ﴿ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ ۖ ﴾ أي يتحقق منهم هذا القول والطعن حينئذ فحينئذ بما يؤذن بذلك صيغة المضارع مسبب عن العناد والاستكبار ، وإذا جاز مثل حينئذ الآن أي كان ذلك حينئذ وسمع الآن بدليل قرينة الحال فهذا أجوز ، والاشارة الى القرآن العظيم ، وقولهم : ذلك فيه كقولهم : «أساطير الأولين» ولم يجوز أن يكون (فسيقولون) عاملا في الظرف لتدافع دلالاتي المضى والاستقبال ، وإنما لم يجعله من قبيل «فسوف يعلمون إذا الاغلال» نظما للمستقبل في سلك المقطوع كما اختاره ابن الحاجب في الامالي لأن المعنى ههنا - كما في الكشف - على أن عدم الهداية محقق واقع لا أنه سيقع البتة ، ألا ترى الى قوله تعالى : (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) بعد ما بين استكبارهم وعنادهم كيف ينص على

(١) بالنون ووقع في أصل المؤلف «زينة» بالباء الموحدة وهو غلط صححناه من الاصابة •

أنهم يجادلون معرضون عن القرآن وتدبره غير مهتدين ببشائره ونذره •
وقال بعضهم: الطرف معمول - سيقولون - والفاء لاتمنع عن عمل ما بعدها فيما قبلها كما ذكره الرضى، والتسبب المشعرة به عن كفرهم، و(سيقولون) بمعنى قالوا، والعدول اليه للاشعار بالاستمرار. وتعقب بأن ذلك مع السين بعيد، وقيل: إذ تعليلية للقول. وتعقب بأنه معلل بكفرهم كما آذنت به الفاء، وقدر بعضهم العامل المحذوف قالوا ما قالوا، ورجحه على التقدير السابق وليس براجح عليه كما لا يخفى على راجح ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ أى من قبل القرآن وهو خبر مقدم لقوله تعالى: ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾ قدم للاهتمام، وجوز الطبرسي كون (كتاب) معطوفا على «شاهد» والظرف فاصل بين العاطف والمعطوف، والمعنى وشهد كتاب موسى من قبله، وجعل ضمير «قبله» للقرآن أيضا وليس بشيء أصلا، وقوله سبحانه: ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ حال من الضمير في الخبر أو من (كتاب) عند من جوز الحال من المبتدأ، وقيل: حال من محذوف والعامل كذلك أى أنزلناه إماما وهو كما ترى • والمعنى وكائن من قبله كتاب موسى يقتدى به في دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدى بالامام ورحمة من الله سبحانه لمن آمن به وعمل بموجبه، وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا﴾ أى القرآن الذى يقولون في شأنه ما يقولون ﴿كِتَابُ﴾ مبتدأ خبر، وقوله عز وجل: ﴿مُصَدِّقٌ﴾ نعت (كتاب) وهو مصدق الفائدة أى مصدق لكتاب موسى الذى هو إمام ورحمة أو لما بين يديه من جميع الكتب الالهية، وقد قرئ (مصدق لما بين يديه) والجملة عطف على الجملة قبلها وهى حالية أو مستأنفة، وأياما كان فالكلام رد لقرههم: (هذا إلك قديم) وإبطال له، والمعنى كيف يصح كونه إفيكا قديما وقد سلموا كتاب موسى والقرآن مصدق له متحد معه في المعنى أو لجميع الكتب الالهية، وقوله تعالى: ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من ضمير (كتاب) المستتر في (مصدق) أو منه نفسه لتخصيصه بالصفة، وعامله على الأول (مصدق) وعلى الثانى ما في هذا من معنى الفعل، وفائدة هذه الحال مع أن عربيته أمر معلوم لكل أحد الاشعار بالدلالة على أن كونه مصدقا كما دل على أنه حق دل على أنه وحى وتوقيف من الله تعالى • هذا على القول بأن الكلام مع اليهود ظاهر، وأما على القول بأنه مع كفار مكة فلا يهم قد سلمون التوراة ونحوها من الكتب الالهية السابقة وإن كانوا أحيانا ينكرون انزال الكتب وإرسال الرسل عليهم السلام مطلقا. وفي الكشف وجه تقديم الخبر في قوله تعالى: (ومن قبله كتاب موسى) أن إرسال الرسل وانزال الكتب أمر مستمر كائن من عند الله تعالى فمن قبل انزال القرآن إماما ورحمة كان انزال التوراة كذلك، وليس من تقديم الاختصاص بل لأن العناية والاهتمام بذكره، ولما ألزم الكفار بنزول مثله وشهادة أعلم بنى إسرائيل ذكر على سبيل الاعتراض من حال كتاب موسى عليه السلام ما يؤكد كونه من عند الله تعالى وأن ما يبايقه يكون من عنده سبحانه لا محالة وتوصل منه الى أن القرآن لما كان مصدقه بل مصدق سائر الكتب السماوية وجب أن يؤمن به ويتلقى بالقبول، وهو بالحقيقة إعادة للدعوى الأولى على وجه أخصر وأشمل إذ دل فيه على أن كونه مصدقا كاف شهد شاهد بنى إسرائيل أو لا، وإن قيل: نزولوا لعنادهم منزلة من لا يعرف أن كتاب موسى قبله إذ لو عرفوا وقد تبين أنه مثله لادعوا فاقيل: (ومن قبله) لا من بعده لكان وجهامو في فيه حق الاختصاص كما آثره السكاكى من أنه لازم التقديم انتهى. وهو ظاهر في أن الجملة ليست حالية •

وجوز كون (لساناً) مفعولاً - لمصدق - والكلام بتقدير مضاف أى ذالسان عربى وهو النبى عليه الصلاة والسلام وتصديقه اياه بموافقة كتاب موسى أو الكتب السماوية مطلقاً وإعجازه ، وجوز على المفعولية كون (هذا) إشاره الى كتاب موسى فلا يحتاج الى تقدير مضاف ، ويراد - بلساناً عربياً - القرآن ، ووضع الإشارة موضع الضمير للتعظيم ، والاصل وهو مصدق لساناً عربياً ، وقيل : هو منصوب بنزع الخافض أى مصدق بلسان عربى والكل كما ترى . وقرأ الكلبي (ومن قبله) بفتح الميم (كتاب موسى) بالنصب ، وخرجت على أن من مرصولة معمولة لفعل مقدر وكذا (كتاب) أى رأينا الذين كانوا قبل نزول القرآن من بنى اسرائيل كتاب موسى ﴿لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ متعلق - بمصدق - وفيه ضمير للكتاب أو لله تعالى أو للرسول عليه الصلاة والسلام ، ويؤيد الاخير قراءة أبى رجاء . وشيبة . والاعرج . وأبى جعفر . وابن عامر . ونافع . وابن كثير فى رواية (لتنذر) بقاء الخطاب فانه لا يصلح بدون تكلف لغير الرسول ، والتعليل صحيح على الكل ، ولا يتوهم لزوم حذف اللام على أن الضمير للكتاب لوجود شرط النصب لأنه شرط الجواز ﴿وَبُشِّرِ الْمَحْسِنِينَ﴾ عطف على المصدر الحاصل من أن والفعل ، وقال الزخشرى : وتبعه أبو البقاء هو فى محل النصب معطوف على محل (لينذر) لأنه مفعول له ، وزعم أبو حيان أن ذلك لا يجوز على الصحيح من مذهب النحويين لأن المحل ليس بحق الاصلة وهم يشترطون فى المحل عايمه ذلك إذ الاصل فى المفعول له الجر ، والنصب ناشئ من نزع الخافض لكنه كثر بشرطه ، وحكى فى اعرابه أوجه فقال : قيل معطوف على (مصدق) وقيل : خبر مبتدا محذوف أى هو بشرى ، وقيل : منصوب بفعل محذوف معطوف على (ينذر) أى ويبشر بشرى ، وقيل : منصوب بنزع الخافض أى وبشرى ، والظاهر أن (المحسنين) فى مقابلة (الذين ظلموا) والمراد بالاول الكفرة وبالثانى المؤمنون . وفى شرح الطيبي إنما عدل عن العادلين الى (المحسنين) ليكون ذريعة الى الإشارة بنفى الخوف والحزن لمن قالوا : ربنا الله ثم استقاموا ، وقيل : (المحسنين) دون الذين أحسنوا بعد قوله تعالى : (الذين ظلموا) ليكون المعنى لينذر الذين وجد منهم الظلم ويبشر الذين ثبتوا واستقاموا على الصراط السوى فيناسب تعليل الإشارة بقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ إلى آخره أى ان الذين جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى الدين التى هى منتهى العمل ، و(ثم) للتراخى الرتبى فالعمل متراخى الرتبة عن التوحيد ، وقد نصوا على أنه لا يعتد به بدونه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من لحوق مكروه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ من فوات محبوب ، والمراد استمرار النفي ، والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط مع بقاء معنى الابتداء فلا تدخل فى خبر ليت وامل وكان وان كانت أسماؤها موصولات ، وتقدم فى سورة السجدة نظير هذه الآية وذكرنا فى تفسيره ما ذكرنا فليراجع ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال من المستكن فى (أصحاب) وقوله تعالى : ﴿جَزَاءُ﴾ منصوب إما بمعامل مقدر أى يجوزون جزاء ، والجملة استئناف أو حال وأما بمعنى ما تقدم على ما قيل فإن قوله تعالى : (أولئك أصحاب الجنة) فى معنى جازيناهم ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الحسنات القلبية والقلبية ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ نزلت كما أخرج ابن عساکر من طريق الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه

إلى قوله تعالى : (وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) *

(وإحسانا) قيل : مفعول ثانٍ لوصينا على تضمينه معنى الزمنا ، وقيل : منصوب على المصدر على تضمين (وصينا) معنى أحسننا أى أحسننا بالوصية للإنسان بوالديه إحسانا ، وقيل : صفة لمصدر محذوف بتقدير مضاف أى إيصال ذاك إحسان ، وقيل : مفعول له أى وصينا بهما لإحساننا إليهما ، وقال ابن عطية : إنه منصوب على المصدر الصريح و (بوالديه) متعلق بوصينا ، أو به وكأنه عنى يحسن إحسانا وهو حسن ، لكن تعقب أبو حيان تجويزه تعلق الجار بإحسانا بأنه لا يصح لأنه مصدر مقدر بحرف مصدرى والفعل فلا يتقدم معموله عليه ولأن أحسن لا يتعدى بالباء وإنما يتعدى باللام تقول : أحسنت أزيد ولا تقول : أحسنت بزيد على معنى أن الإحسان يصل إليه ، وفيه أنا لا نسلم أن المقدر بشئ يشاركه ما قدر به في جميع الأحكام لجواز أن يكون بعض أحكامه مختصا بصريح لفظه مع أن الظرف يكفيه راحة الفعل ولذا يعمل الاسم الجامد فيه باعتبار لمع المعنى المصدرى ، وقد قالوا : إنه يتصرف فيه ما لا يتصرف في غيره لاحتياج معظم الأشياء إليه * والجار والمجرور محمول عليه ، وقد كثرت ما ظاهره التعلق بالمصدر المتأخر نكرة - لا تأخذكم بهما رأفة - ومعرفة نحو (فلما باغ معه السعى) وتأويل كل ذلك تكلف ، وأيضا قوله : لأن أحسن لا يتعدى بالباء الخ فيه منع ظاهر ، وقد بعضهم الفعل قبل الجار فقال : وصينا الإنسان بأن يحسن بوالديه إحسانا ، ولعل التنوين للتفخيم أى إحسانا عظيما ، والإيصال والوصية التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ من قولهم : أرض واصية متصلة النبات ، ففي الآية إشعار بأن الإحسان بهما أمر معتنى به ، وقد عد في الحديث ثانياً أفضل الأعمال وهو الصلاة لأول وقتها ، وعد عقوبتهما ثانياً أكبر الكبائر وهو الإشراف بالله عز وجل ، والأحاديث في الترغيب في الأول والترهيب عن الثاني كثيرة جدا ، وفي الآيات ما فيه كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد * وقرأ الجمهور (حسنا) بضم الحاء واسكان السين أى فعلا ذا حسن أو كأنه في ذاته نفس الحسن لفرط حسنه ، وجوز أبو حيان فيه أن يكون بمعنى (إحسانا) فالأقوال السابقة تجرى فيه . وقرأ على كرم الله تعالى وجهه . والسلبى . وعيسى (حسنا) بفتح الحاء والسين ، وعن عيسى (حسنا) بضمهما *

﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ أى ذات كره أو حملا ذا كره وهو المشقة كما قال مجاهد . والحسن . وقتادة ، وليس الكره فى أول علوقها بل بعد ذلك حين تجدله ثقلا . وقرأ شيبه . وأبو جعفر . والحريريان (كرها) بفتح الكاف وهما لغتان بمعنى واحد كال فقر والفقر والضعف والضعف ، وقيل : المضموم اسم والمفتوح مصدر * وقال الراغب : قيل الكره أى بالفتح المشقة التى تنال الإنسان من خارج بما يحمل عليه باكره والكره ما يناله من ذاته وهو ما يعاينه من حيث الطبع أو من حيث العقل أو الشرع . وطعن أبو حاتم في هذه القراءة فقال : لا تحسن هذه القراءة لأن الكره بالفتح الغضب والغلبة . وأنت تعلم أنها فى السبعة المتواترة فلا معنى للطعن فيها ، وقد كان هذا الرجل يطعن فى بعض القراآت بما لا علم له به جسارة منه عفا الله تعالى عنه ﴿ وَحَمَلُهُ وَفَصَالُهُ ﴾ أى مدة حملة وفصاله ، وبتقدير هذا المضاف يصح حمل قوله تعالى : ﴿ تَلَاوُنَ شَهْرًا ﴾ على المبتدأ من غير كره *

والفصال الفطام وهو مصدر فاصل فكأن الولد فاصل أمه وأمه فاصلته . وقرأ أبو رجاء . والحسن . وقتادة .

ويعقوب . والجحدري (وفصله) أى فطمه فالفصل والفطام كالفطم والفطام بناء ومعنى ؛ وقيل : الفصل بمعنى وقت الفصل أى الفطم فهو معطوف على مدة الحمل ، والمراد بالفصل الرضاع التام المنتهى بالفطام ولذلك عبر بالفصل عنه أو عن وقته دون الرضاع المطلق فانه لا يفيد ذلك ، وفى الوصف تطويل ، والآية بيان لما تكابده الأم وتقاسيه فى تربية الولد مبالغة فى التوصية لها ، ولذا أعتنى الشارع ببرها فوق الاعتناء ببر الاب ، فقد روى « أن رجلا قال : يارسول الله من أبر ؟ قال : أمك قال : ثم من ؟ قال : أمك قال : ثم من ؟ قال أبالك » وقد أشير فى الآية إلى ما يقتضى البر بها على الخصوص فى ثلاث مراتب فتكون الأوامر فى الخبر كالمأخوذة من ذلك . واستدل بها على كرم الله تعالى وجهه . وابن عباس رضى الله تعالى عنهما . وجماعة من العلماء على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لما نه إذا حط عن الثلاثين للفصل حولان لقوله تعالى : (حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) يبقى للحمل ذلك وبه قال الأطباء ، قال جالينوس : كنت شديد الفحص عن مقدار زمن الحمل فرأيت امرأة ولدت لمائة وأربع وثمانين ليلة . وادعى ابن سينا أنه شاهد ذلك . وأما أكثر مدة الحمل فليس فى القرآن العظيم ما يدل عليه ؛ وقال ابن سينا فى الشفا : بلغنى من جهة من أثق به كل الثقة أن امرأة وضعت بعد الرابع من سنى الحمل ولداً نبتت أسنانه ، وحكى عن ارسطو أنه قال : أزمنة الحمل لكل حيوان مضبوطة سوى الانسان فربما وضعت المرأة لسبعة أشهر وربما وضعت لثمانية وقلما يعيش الولد فى الثامن الا فى بلاد معينة مثل مصر ، ولعل تخصيص أقل الحمل وأكثر الرضاع بالبيان فى القرآن الكريم بطريق الصراحة والدلالة دون أكثر الحمل وأقل الرضاع وأوسطهما لانضباطهما بعدم النقص والزيادة بخلاف ما ذكر ، وتحقق ارتباط حكم النسب بأقل مدة الحمل حتى لو وضعت فيما دونه لم يثبت نسبه منه وبعده يثبت وتبرأ من الزنا ، ولو أرضعت مرضعة بعد حولين لم يثبت به أحكام الرضاع فى التناكح وغيره وفى هذا خلاف لا يعاب به (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) غاية لمقدر أى فعاش أو استمرت حياته حتى إذا اكتمل واستحكم قوته وعقله (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً) الظاهر أنه غير بلوغ الاشد ، وقال بعضهم : إنه بلوغ الاشد والعطف للتأكيد . وقد ذكر غير واحد أن الانسان اذا بلغ هذا القدر يتقوى جدا خلقه الذى هو عليه فلا يكاد يزايله بعد ، وفى الحديث « إن الشيطان يحريده على وجه من زاد على الأربعين ولم يتب ويقول بأبى وجه لا يفاح » وأخرج أبو الفتح الأزدى من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً « من أتى عليه الأربعون سنة فلم يغلب خير شره فليتهجر الى النار » وعلى ذلك قول الشاعر :

إذا المرء وفى الأربعين ولم يكن له دون ما يهوى حياء ولاستر
فدعه ولا تنفس عليه الذى مضى وإن جر أسباب الحياة له العمر

وقيل : لم يبعث نبي الا بعد الاربعين ، وذهب الفخر الى خلافه مستدلاً بأن عيسى ويحيى عليهما السلام أرسلا صبيين لظواهر ما حكى فى الكتاب الجليل عنهما ، وهو ظاهر كلام السعد حيث قال : من شروط النبوة الذكورة وكال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأى ولو فى الصبا كعيسى ويحيى عليهما السلام الى آخر ما قال . وذهب ابن العربى فى آخرين إلى أنه يجوز على الله سبحانه بعث الصبي إلا انه لم يقع وتأولوا آيتى عيسى ويحيى (قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلنى نبياً . وآتيناه الحكم صبياً) بأنهما اخبار عما سيحصل لهما

لا عما حصل بالفعل ، ومثله كثير في الآيات وغيرها ، والواقع عند هؤلاء البعث بعد البلوغ . وحكى اللقاني عن بعض اشتراطه فيه . و يترجم عندى اشتراطه فيه دون أصل النبوة لما أن النفوس في الاغلب تأنف عن إتباع الصغير وان كبر فضلا كالرقيق والاني ، وصرح جمع بأن الاغم الاغلب كون البعثة على رأس الاربعين كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي ﴾ أى رغبني ووقفني من أوزعته بكذا أى جعلته مولعا به راغبا في تحصيله . وقرأ البرزى (أوزعني) بفتح الياء ﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ﴾ أى نعمة الدين أو مايعمها وغيرها ، وذلك يؤيد ما روى أنها نزلت في أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لأنه لم يكن أحد أسلم هو وأبواه من المهاجرين والانصار سواه كذا قيل ، وإسلام أبيه بعد الفتح وحينئذ يلزم أن تكون الآية مدنية واليه ذهب بعضهم ، وقيل : إن هذا الدعاء بالنسبة الى أبويه دعاء بتوفيقهما للايمان وهو كما ترى . واعترض على التعليل بابن عمر . وأسامة بن زيد . وغيرهما ، ونقل عن الواحدى انه قد صحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابن عشرين سنة في سفر للشام في التجارة فنزل تحت شجرة سمرة وقال له الراهب : إنه لم يستظل بها أحد بعد عيسى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فوقع في قلبه تصديقه فلم يكن يفارقه في سفر ولا حضر فلما نبئ وهو ابن أربعين آمن به وهو ابن ثمانية وثلاثين فلما بلغ الأربعين قال : (رب أوزعني) الخ ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ التنوين للتفخيم والتكثير ، والمراد بكونه مرضيا له تعالى مع أن الرضا على ما عليه جمهور أهل الحق الارادة مع ترك الاعتراض وكل عمل صالح كذلك أن يكون سالما من غوائل عدم القبول كالرياء والعجب وغيرهما ، فحصله اجعل عملي على وفق رضاك : وقيل المراد بالرضا هنا ثمرته على طريق الكناية ﴿ وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ أى اجعل الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم كما في قوله : •

فان تعذر في المحل من ذى ضرورها لدى المحل يجرح في عراقبيها نصلي

على أن (أصلح) نزل منزلة اللازم ثم عدى بى ليفيد ما أشرنا اليه من سريان الصلاح فيهم وكونهم كالظرف له لتمكنه فيهم والا فكان الظاهر وأصلح لى ذريتي ، وقيل : عدى بى لتضمنه معنى اللطف أى اللطف بى في ذريتي ، والاول أحسن ، قال ابن عباس : أجاب الله تعالى دعاء أبى بكر فأعنت تسعة من المؤمنين منهم بلال . وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ، ودعا أيضا فقال (أصلح لى في ذريتي) فأجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام أبويه وأولاده جميعا ، وقد أدرك أبوه وولده عبد الرحمن وولده أبو عتيق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآمنوا به ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين ﴿ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ عملا ترضاه أو يشغل عنك ﴿ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ١٥ ﴾ الذين أخلصوا أنفسهم لك ﴿ أُولَئِكَ ﴾ اشارة الى الانسان ، والجمع لأن المراد به الجنس المتصف بالمعنى المحكى عنه ، وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلته وعلو درجته أى أولئك المتعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة •

﴿ الَّذِينَ تَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ من الطاعات فان المباح حسن لا يثاب عليه ﴿ وَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ لتوبتهم المشار اليها بانى تبت والا فعند أهل الحق ان مغفرة الذنب مطلقا لا تتوقف على توبة (في أصحاب الجنة)

كائنين في عدادهم منتظمين في سلكهم ، وقيل : (في) بمعنى مع وليس بذاك ﴿ وَعَدَ الصِّدِّقُ ﴾ مصدر لفعل مقدر وهو مؤكد لمضمون الجملة قبله ، فان قوله سبحانه : (يتقبل . وتتجاوز) وعدمه عز وجل بالتقبل والتجاوز * ﴿ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ١٦ ﴾ على السنة الرسل عليهم السلام . وقرئ : (يتقبل) بالياء والبناء للفعول و (أحسن) بالرفع على النيابة مناب الفاعل وكذا (يتجاوز عن سيئاتهم) *

وقرأ الحسن . والاعمش . وعيسى بالياء فيهما مبنيين للفاعل وهو ضميره تعالى شأنه و (أحسن) بالنصب على المفعولية ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوَالِدَيْهِ ﴾ عند دعوتهما إياه للإيمان ﴿ أَفْ لَكُمَا ﴾ صوت يصدر عن المرء عند تضجيره وفيه قرأتان ولغات نحو الاربعين ، وقد نهينا على ذلك في سورة الاسراء ، واللام لبيان الموقف له كما في (هيت لك) والموصول مبتدأ خبره (أولئك الذين حق عليهم القول) والمراد به الجنس فهو في معنى الجمع ، ولذا قيل : (أولئك) وإلى ذلك أشار الحسن بقوله : هو الكافر العاق لوالديه المنكر للبعث ، ونزول الآية في شخص لا ينافي العموم كما قرر غير مرة ، وزعم مروان عليه ما يستحق أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما وردت عليه عائشة رضي الله تعالى عنها . أخرج ابن أبي حاتم . وابن مردويه عن عبد الله قال : إني لفي المسجد حين خطب مروان فقال : إن الله تعالى قد أرى لأمير المؤمنين - يعني معاوية - في يزيد رأيا حسنا أن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر . وعمر فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : أهرقية إن أبابكر رضي الله تعالى عنه والله ما جعلها في أحدهم ولده ولا أحد من أهل بيته ولا جعلها معاوية إلا رحمة وكرامة لولده ، فقال مروان : ألسنت الذي قال لوالديه أف لكما فقال عبد الرحمن : ألسنت ابن اللعين الذي لعن رسول الله ﷺ أباك فسمعت عائشة فقالت : مروان أنت القائل لعبد الرحمن كذا وكذا كذبت والله ما فيه نزلت في فلان بن فلان . وفي رواية تقدمت رواها جماعة وصححها الحاكم عن محمد بن زياد أنها كذبت ثلاثا ثم قالت : والله ما هو به - تعني أخاها - ولو شئت أن اسمي الذي أنزلت فيه لسميته إلى آخر ما مر ، وكان ذلك من فضض اللعنة اغاظة لعبد الرحمن وتنفيرا للناس عنه لثلاثا يفتتوا إلى ما قاله وما قاله الآخر فآين يزيد الذي تجل اللعنة عنه وأين الخلافة * ووافق بعضهم كالسهيلي في الاعلام مروان في زعم نزولها في عبد الرحمن ، وعلى تسليم ذلك لا معنى للتعبير لاسيما من مروان فإن الرجل أسلم وكان من أفاضل الصحابة وابطالهم وكان له في الاسلام غناء يوم القيامة وغيره والاسلام يجب ما قبله فالكافر إذا أسلم لا ينبغي أن يعبر بما كان يقول ﴿ أَتَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ ﴾ ابعث من القبر بعد الموت . وقرأ الحسن . وعاصم . وابو عمرو في رواية وهشام (أتعداني) بادغام نون الرفع في نون الوقاية ، وقرأ نافع في رواية . وجماعة بنون واحدة ، وقرأ الحسن . وشيبة . وأبو جعفر بخلاف عنه ، وعبد الوارث عن أبي عمرو . وهرون بن موسى عن الجحدري ، وبسام عن هشام (أتعد انتي) بنونين من غير ادغام ومع فتح الاولى كأنهم فروا من اجتماع الكسرتين والياء ففتحووا للتخفيف ، وقال أبو حاتم : فتح النون باطل غلط ، وقال بعضهم : فتح نون التثنية لغة رديئة وهون الامر هنا الاجتماع ، وقرأ الحسن . وابن يعمر . والاعمش . وابن مصرف . والضحاك (أخرج) مبني للفاعل من الخروج ﴿ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي ﴾ أي مضت ولم يخرج منها أحد ولا بعث فالمراد إنكار البعث كما قيل :

ما جاءنا أحد يخبر أنه في جنة لهما ضى أوزار

وقال أبو سليمان الدمشقي : أراد وقد خلت القرون من قبلي مكذبة بالبعث، فالكلام كالأستدلال على نفي البعث هـ
 ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ أى يقولان : الغياث بالله تعالى منك ، والمراد إنكار قوله واستعظامه كأنهما
 لجآ إلى الله سبحانه في دفعه كما يقال : العياذ بالله تعالى من كذا أو يطلبان من الله عز وجل أن يغيثه بالتوفيق
 حتى يرجع عما هو عليه من انكار البعث ﴿وَيْلَكَ أَمِنْ﴾ أى قائلين أو يقولون له ذلك ، وأصل (ويل) دعاء
 بالثبور يقام مقام الحث على الفعل أو تركه اشعارا بأن ما هو مرتكب له حقيق بأن يهلك مرتكبه وأن يطلب
 له الهلاك فاذا أسمع ذلك كان باعثا على ترك ما هو فيه والاخذ بما ينجيهِ ، وقيل : إن ذلك لأن فيه اشعارا بأن
 الفعل الذى أمر به بما يحسد عليه فيدعى عليه بالثبور فاذا سمع ذلك رغب فيه ، وأيا ما كان فالمراد هنا الحث والتحريض
 على الايمان لاحقيقة الدعاء بالهلاك ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أى البعث ، وأضاف الوعد اليه تعالى تحقيقا للحق
 وتنبها على خطئه فى اسناد الوعد اليهما . وقرأ الاعرج . وعمرو بن فائد (أن) بفتح الهمزة على تقدير لان
 أو آمن بأن وعد الله حق ، ورجح الاول بأن فيه توافق القراءتين ﴿فَيَقُولُ﴾ مكذبا لهما ﴿مَا هَذَا﴾ الذى
 تسميانه وعد الله تعالى ﴿الْأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ١٧﴾ أباطيلهم التى سطورها فى الكتب من غير أن يكون لها
 حقيقة ﴿أُولَئِكَ﴾ القائلون ذلك ، وقيل : أى صنف هذا المذكور بناء على زعم خصوص (الذى) وليس بشئ هـ
 ﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ وهو قوله تعالى لابليس : (لاملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين) وقد
 مر تمام الكلام فى ذلك . ورد بهذا على من زعم أن الآية فى عبد الرحمن بن أبى بكر لأنه رضى الله تعالى عنه
 أسلم وجب عنه ما قبل وكان من أفاضل الصحابة ، ومن حق عليه القول هو من علم الله تعالى أنه لا يسلم أبدا •
 وقيل : الحكم هنا على الجنس فلا ينافى خروج البعض من أحكامه الاخرية ، وقيل : غير ذلك مما لا يلتفت اليه هـ
 ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فى مقابلة (فى أصحاب الجنة) فهو مثله اعرابا ومبالغة ومعنى ، وقوله تعالى :
 ﴿مَنْ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ﴾ بيان للامم ﴿إِنَّهُمْ﴾ جميعا ﴿كَانُوا خُسْرِينَ ١٨﴾ قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية
 مجرى رموس أموالهم باتباع الشيطان ، والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف . وقرأ العباس عن أبى عمرو
 (أنهم) بفتح الهمزة على تقدير لانهم . واستدل بقوله عز وجل : (فى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ) الخ على أن الجن يموتون
 قرنا بعد قرن كالانس . وفى البحر قال الحسن فى بعض مجالسه : الجن لا يموتون فاعترضه قتادة بهذه الآية فسكت
 ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الفريقين المذكورين فى قوله تعالى : (أولئك الذين تتقبل عنهم) وفى قوله سبحانه :
 (أولئك الذين حق عليهم القول) وإن شئت فقل فى الذين قالوا ربنا الله . والذى قال لو لديه أف ﴿دَرَجَاتُ مَعْمُولُوا﴾
 أى من جزاء ما عملوا ، فالكلام بتقدير مضاف ، والجار والمجرور صفة (درجات) و (من) بيانية أو ابتدائية
 و (ما) موصولة أى من الذى عملوه من الخير والشر أو صدرية أى من عملهم الخير والشر ، ويجوز أن تكون
 « من » تعليلية بدون تقدير مضاف والجار والمجرور كما تقدم . والدرجات جمع درجة وهى نحو المنزلة لكن
 يقال للمنزلة درجة إذا اعتبرت بالصعود ودركا إذا اعتبرت بالحدود ، ولهذا قيل : درجات الجنة ودركات النار •

والتعبير بالدرجات كما قال غير واحد على وجه التغليب لاشتغال « كل » على الفريقين أى لكل منازل ومراتب سواء كانت درجات أو دركات ، وإنما غلب أصحاب الدرجات لأنهم الأحق مقام به لاسيما ، وقد ذكر جزأؤهم مرارا وجزاء المقابل مرة ﴿ وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ ﴾ أى جزاء أعمالهم والفاعل ضميره تعالى . وقرأ الاعمش . والاعرج . وشيبة . وأبو جعفر . والاخوان . وابن ذكوان . ونافع بخلاف عنه (لنوفيههم) بنون العظمة ، وقرأ السلى بناء فوقية على الاسناد للدرجات مجازا ﴿ وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ ١٩ ﴾ بنقص ثواب وزيادة عقاب ، وقد مر الكلام فى مثله غير مرة ، والجملة حال مؤكدة للتوفية أو استئناف مقرر لها ، واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كأنه قيل : وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم فعل فاعل من تقدير الاجزية على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات *

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾ أى يعذبون بها من قولهم : عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به وهو مجاز شائع ، وذهب غير واحد الى أنه من باب القلب المعنوى والمعنى يوم تعرض النار على الذين كفروا ونحو عرضت الناقة على الحوض فان معناه أيضا كما قالوا : عرضت الحوض على الناقة لأن المعرض عليه يجب أن يكون له إدراك لئيل به الى المعرض أو يرغب عنه لكن لما كان المناسب هو أن يؤتى بالمعرض عند المعرض عليه ويحرك نحوه وههنا الأمر بالعكس لأن الحوض لم يؤت به وكذا النار قلب الكلام رعاية لهذا الاعتبار ، وفى الاتصاف ان كان قولهم : عرضت الناقة على الحوض مقلوبا فليس قوله تعالى : (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) كذلك لأن المألجى ثم الى اعتقاد القلب أن الحوض جمد لا ادراك له والناقة هى المدركة فهى التى يعرض عليها الحوض حقيقة ، وأما النار فقد وردت النصوص بأنها حينئذ مدركة إدراك الحيوانات بل إدراك أولى العلم فالأمر فى الآية على ظاهره كقولك : عرضت الاسرى على الأمير ، وربما يقال : لا مانع من تنزيلها منزلة المدرك إن لم تكن حينئذ مدركة وكذا تنزيل الحوض منزلته حتى كأنه يستعرض الناقة كما قال أبو العلاء المعرى :

إذا اشتاقت الخيل المناهل أعرضت عن الماء فاشتاقت اليها المناهل

وبعد ذلك قد لا يحتاج الى اعتبار القلب ، وقال أبو حيان . لا ينبغي حمل القرآن على القلب إذ الصحيح فيه أنه بما يضطر اليه فى الشعر ، وإذا كان المعنى صحيحا واضحا بدونه فأى ضرورة تدعو اليه ؟ والمثال المذكور لا قلب فيه أيضا ، فان عرض الناقة على الحوض وعرض الحوض على الناقة كل منهما صحيح اذ العرض امر نسبي يصح اسناده لكل واحد من الناقة والحوض . وابن السكيت فى كتاب التوسعة ذهب إلى أن عرضت الحوض على الناقة مقلوب والاصل انما هو عرضت الناقة على الحوض وهو مخالف للمشهور . وأنت تعلم بما ذكرنا أولا أن سبب اعتبارهم القلب فى المثال كون المناسب فى العرض أن يؤتى بالمعرض عند المعرض عليه وان الأمر فى عرضت الحوض على الناقة بالعكس ، وتفصيل الكلام فى ذلك على وجه يعرف منه منشأ الخلاف ان العرض مطلقا لا يقتضى ذلك وانما المقتضى له المعنى المقصود من العرض فى المثال وهو الميل الى المعرض ، ومن لم ينظر الى هذا المعنى ونظر الى أن المعرض يتحرك الى المعرض عليه قال انه الاصل ، ومن لم ينظر الى الاعتبارين وقال العرض اظهر شيئا لشيء قال إن كلا من القولين على الاصل ، وهو كما قال العلامة السالكوتى الحق لأن كلا

الاعتبارين خارج عن مفهوم العرض فاحفظه فانه نفيس *

والظرف منصوب بقول محذوف مقوله قوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ إلى آخره أى فيقال لهم يوم يعرضون أذهبتم لذاتكم ﴿فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ باستيفانها ﴿وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ فلم يبق لكم بعد شيء منها، وهو عطف تفسير لأذهبتم، وقرأ قتادة . ومجاهد . وابن وثاب . وأبو جعفر . والحسن . والأعرج . وابن كثير (أذهبتم) بهمة بعدها مدة مطولة، وابن عامر بهمزة تين حقه بها ابن ذكوان وابن الثانية ابن هشام . وابن كثير في رواية، وعن هشام الفصل بين المحققة والمليئة بألف، والاستفهام على معنى التوبيخ فهو خبر في المعنى ولو كان استفهاماً محضاً لم تدخل الفاء في قوله سبحانه: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أى الهوان وكذلك قرئ ﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بغير استحقاق لذلك، وقد مر بيان سر (في الأرض) ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ٤٠﴾ أى تخرجون من طاعة الله عز وجل أى بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين، وفي البحر أريد بالاستكبار الترفع عن الإيمان وبالفسق معاصي الجوارح وقدم ذنب القلب على ذنب الجوارح إذ أعمال الجوارح ناشئة عن مراد القلب، وقرئ (تفسقون) بكسر السين وهذه الآية محرصة على التقل من الدنيا وترك التمتع فيها والاختد بالتقشف، أخرج سعيد بن منصور . وعبد بن حميد . وابن المنذر . والحاكم . والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر أن عمر رضى الله تعالى عنه رأى في يد جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه درهما فقال ماهذا الدرهم؟ قال: أريد أن أشتري به لأهلي لحماً قرءوا إليه فقال أكلما اشتبهتم شيئاً اشتريتموه أين تذهب عنكم هذه الآية (أذهبتم طياتكم حياتكم الدنيا واستمتعتم بها)؟ *

وأخرج ابن المبارك . وابن سعد . وأحمد في الزهد . وعبد بن حميد . وأبو نعيم في الحلية عن الحسن قال قدم وفد أهل البصرة على عمر رضى الله تعالى عنه مع أبي موسى الأشعري فكان له في كل يوم خبز يلات فربما وافقناه مآدوماً بزيت وربما وافقناه مآدوماً بسمن وربما وافقناه مآدوماً بلبن وربما وافقناه القدائد اليابسة قد دقت ثم أغلى عليها وربما وافقناه اللحم الغريض - أى الطرى - وهو قليل قال وقال لنا عمر رضى الله تعالى عنه: أتى والله ما أجهل عن كراكر واسنمة وعن صلاه وصناب وسلائق ولكن وجدت الله تعالى عير قوماً بأمر فلوه فقال عز وجل: (أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها)، والكراكر جمع كركرة بالكسرة زور البعير الذى إذا برك أصاب الأرض وهو من أطيب ما يؤكل منه والاسنمة جمع سنام معروف والصلاه بالكسر والمد الشواء، والصناب كتاب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب، والسلائق جمع سليقة كسفينة ماسلق من البقول وغيرها ويروى بالصاد الخبز الرقاق واحدها سليقة كسفينة أيضاً، وقيل: هى الخملان المشوية، وقيل: اللحم المشوى المنضج وأنشدوا لجرير:

يكافئ معيشة آل زيد ومنلى بالصلائق والصناب

وأخرج أحمد . والبيهقي في شعب الإيمان عن ثوبان رضى الله تعالى عنه قال «كان رسول الله ﷺ إذا سافر آخر عهده من أهله بفاطمة وأول من يدخل عليه منهم فاطمة رضى الله تعالى عنها فقدم من غزاة له نائها فإذا بمسح على بابها ورأى على الحسن والحسين قلبيين من فضة فرجع ولم يدخل عليها فلما رأت ذلك ظننت

أنه لم يدخل من أجل ما رأى ففتكت الستر ونزعت القلبين من الصيدين فقطعتهما فبكتا فقسمت ذلك بينهما فانطلقا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهما يبكيان فاخذه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منهما فقال يا ثوبان اذهب بهذا إلى بني فلان أهل بيت بالمدينة واشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج فان هؤلاء أهل بيتي ولا أحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا» والمسح بكسر فسكون ثوب من شعر غليظ، والقلبين تشية قاب بضم فسكون السوار، والعصب بفتح فسكون قال الخطابي إن لم يكن الثياب اليمانية فما أدري ماهو وما أدري أن القلائد تكون منها، ويحتمل أن الرواية بفتح الصاد وهو اطناب مفاصل الحيوان فلعلهم كانوا يتخذون من طاهره مثل الخرز هـ

قال ثم ذكر بعض أهل اليمن أن العصب سن دابة بحرية تسمى فرس فرعون يتخذ منها الخرز البيض وغيرها، وأحاديث الزهد في طيبات الحياة الدنيا كثيرة وحال رسول الله ﷺ في ذلك معروفة بين الأمة وفي البحر بعد حكاية حال عمر رضي الله تعالى عنه على نحو مما ذكرنا، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: وهذا من باب الزهد والا فالآية نزلت في كفار قريش، والمعنى انه كانت لكم طيبات الآخرة أو آمنتم لكم لم تؤمنوا فاستعجلتم طيباتكم في الحياة الدنيا. فهذه كناية عن عدم الايمان ولذلك ترتب عليه (فالיום تجزون عذاب الهون) ولو أريد الظاهر ولم يكن كناية عما ذكرنا لم يترتب عليه الجزاء بالعذاب، هذا ولما كان أهل مكة مستغرقين في لذات الدنيا معرضين عن الايمان وما جاء بهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ناسب تذكيرهم بما جرى للعرب الاولى من كانوا أكثر أموالا وأشد قوة وأعظم جاها منهم فسلط عليهم العذاب بسبب كفرهم وبضرب الامثال وقصص من تقدم يعرف قبح الشيء وحسنه فقال سبحانه لرسوله ﷺ: ((واذكركم)) لكفار مكة (أخا عَادَ)

هو دا عليه السلام ((إِذْ أَنْذَرْتَهُمْ)) بدل اشتمال منه أي وقت انذاره إياهم ((بِالْأَحْقَافِ)) جمع حقف رمل مستطيل فيه اعوجاج وانحناء ويقال احقوق الشيء اعوج وكانوا يبدون أصحاب خباء وعمد يسكنون بين رماله شرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن قاله ابن زيد، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بين عمان ومهرة، وفي رواية أخرى عنه الاحقاف جبل بالشام، وقال ابن اسحق: «سأكنهم من عمان إلى حضر موت» وقال ابن عطية الصحيح ان بلاد عاد كانت باليمن ولهم كانت ارم ذات العماد وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام في ارم وبيان الحق فيها (وَقَدْ خَآتِ النَّذْرُ) أي الرسل كما هو المشهور، وقيل من يعمهم والنواب عنهم جمع نذير بمعنى منذر هـ

وجوز كون (النذر) جمع نذير بمعنى الانذار فيكون مصدرا وجمع لانه يختلف باختلاف المنذره. وتعقب بأن جمعه على خلاف القياس ولا حاجة تدعو اليه ((مَنْ يَنْ يَدِيهِ)) أي من قبله عليه السلام ((وَمَنْ خَلْفَهُ)) أي من بعده وقرئ به ولولا ذلك لجاز العكس، والظاهر ان المراد النذر المتقدمون عليه والمتأخرون عنه. وعن ابن عباس يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه، فمعنى (من خلفه) من بعد انذاره، وعطف (من خلفه) أي من بعده على ما قبله اما من باب • علفتها تبنا وما باردا • وفيه أقوال فليل عامل الثاني مقدر أي وسقيتهما ماء ويقال في الآية أي خلت النذر من بين يديه وتأتى من خلفه • وقيل إنه مشاكلة، وقيل: إنه من قبيل الاستعارة بالكناية، واما لادخال الآتي في سلك الماضي قطعاً بالوقوع وفيه شائبة الجمع بين الحقيقة والمجاز، وجوز أن

يقال : المضى باعتبار الثبوت في علم الله تعالى أى وقد خلت النذر في علم الله تعالى يعنى ثبت في علمه سبحانه خلو الماضين منهم والآتين ، والجملة اما حال من فاعل (أنذر) أى إذ أنذر معلما إياهم بخلو النذر أو مفعوله أى وهم عالمون بأعلامه إياهم ، وهو قريب من أسلوب قوله تعالى : (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا) الآية ، ويجوز أن يكون المعنى أنذرهم على فترة من الرسل ، وهى حال أيضاً على تفسير ابن عباس ، وعلم القوم يجوز أن يكون من إعلامه ومن مشاهدتهم أحوال من كانوا في زمانه وسماعهم أحوال من قبله ، واما اعتراض بين المفسر أعنى (أنذر قومه) وبين المفسر أعنى قوله تعالى : ﴿الَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ فان النهى عن الشئ انذار عن مضرتة كأنه قيل : واذكر زمان انذار هود قومه بما أنذر به الرسل قبله وبعده وهو أن لا تعبدوا إلا الله تنبيها على أنه انذار ثابت قديما وحديثا اتفقت عليه الرسل عليهم السلام عن آخرهم فهو يؤكد قوله تعالى : (واذكر) ويؤكد قوله سبحانه : (أنذر قومه) ولذلك توسط ، وهو أيضا مقصود بالذكر بخلاف ما اذا جعل حالا فانه حينئذ قيد تابع ، وهذا الوجه أولى بما قبله على ما قرره في الكشف ، وجوز بعضهم العطف على (أنذر) أى واعلمهم بذلك وهو كما ترى ، وجلعت (أن) مفسرة لتقدم معنى القول دون حروفه وهو الا انذار والمفسر معموله المقدر ، وجوز كونها مصدرية وكونها مخففة من الثقيلة فقبلها حرف جر مقدر متعلق بأنذر أى انذرهم بأن لا تعبدوا الا الله * ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٢١﴾ صفة (يوم) وعظمه مجاز عن كونه مهولا لانه لازم له ، وكون اليوم مهولا باعتبار هول ما فيه من العذاب فالاستناد فيه مجازى ، ولا حاجة إلى جعله صفة للعذاب والجر للجوار والجملة استئناف تعليل للنهى ، ويفهم إلى اخاف عايكم ذلك بسبب شر ككم ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا﴾ استفهام توبيخى ﴿لِتَأْفَكُنَا﴾ أى انصرفنا - كما قال الضحاك - من الافك بمعنى الصرف ، وقيل : أى لتزيلنا بالافك وهو الكذب ﴿عَنِ الْهَتَا﴾ أى عن عبادتها ﴿فَأَتَيْنَا بِمَا تَعَدُّنَا﴾ من معاجلة العذاب على الشرك في الدنيا ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٢٢﴾ فى وعدك بنزوله بنا ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ أى بوقت نزوله أو العلم بجميع الاشياء التى من جملتها ذلك ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ وحده لا علم لى بوقت نزوله ، والكلام كناية عن أنه لا يقدر عليه ولا على تعجيله لانه لو قدر عليه وأراده كان له علم به فى الجملة فنفى علمه به المدلول عليه بالحصر نفي لدخيلته فيه حتى يطلب تعجيله من الله عز وجل ويدعوه به وهذا التقرير علم مطابقة جوابه عليه السلام لقولهم : (ائتنا) فيأتيكم به فى وقته المقدر له ﴿وَأَبْلَغُكُمْ مَا رَسَلْتُ بِهِ﴾ من مواجب الرسالة التى من جملتها بيان نزول العذاب إذ لم تنزهوا عن الشرك ، وقرأ أبو عمرو (أبلغكم) من الابلاغ * ﴿وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ٢٣﴾ شأنكم الجهل ومن آثار ذلك أنكم تقترحون على ما ليس من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب ، والفاء فى قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا﴾ فصيحة أى فاتاهم فلما رأوه ، وضمير النصب قيل راجع إلى (ما) فى (بما تعدنا) وكون المرئى هو الموعود باعتبار المالك والسبيقة والافليس هو المرئى حقيقة ، وجوز الزخشرى أن يكون مبهما يفسره (عارضاً) وهو إما تمييز وإما حال ، ثم قال : وهذا الوجه أعرب أى أبين واظهر لما أشرنا اليه فى الوجه الاول من الخفاء وأفصح لما فيه من البيان بعد الابهام والايضاح غب التعمية * وتعقبه أبو حيان بأن المبهم الذى يفسره ويوضحه التمييز لا يكون الا فى باب رب نحو ربه رجلا لقيته وفى باب نعم

ويؤنس على مذهب البصريين نحو نعم رجلا زيد ويؤنس غلاما عمرو ، وأما أن الحال توضح المبهم وتفسر هفلا فملم أحدا ذهب اليه ، وقد حصر النحاة المضمر الذي يفسره ما بعده فلم يذكره فيه مفعول رأى إذا كان ضميرا ولا أن الحال يفسر الضمير ويوضحه ، وأنت تعلم جلالة جوار الله وإمامته في العربية ، والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء ، ومنه قول الشاعر :

يامن رأى عارضا أرقت له بين ذراعى وجبهة الاسد
وقول الاعشى يامن رأى عارضا قدبت ارمقه كأنما البرق في حافاته الشعل

(مُسْتَقْبَلُ أَوْدِيَتِهِمْ) أى متوجه أوديتهم وفي مقابلتها وهى جمع واد، وأفعلة في جمع فاعل الاسم شاذ نحو ناد وأندية وجائز للخشبة الممتدة في أعلى السقف وأجوزة والاضافة لفظية كما في قوله تعالى : (قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطَرٌ نَّآ) ولذلك وقعا صفتين للنكرة وأطلق عليها الزخشرى مجازية ووجه التجوز أن هذه الاضافة للتوسع والتخفيف حيث لم تفد فائدة زائدة على ما كان قبل فكما أن اجراء الظرف مجرى المفعول به مجاز كذلك اجراء المفعول أو الفاعل مجرى المضاف اليه في الاختصاص ولم يرد أنها من باب الاضافة لأدنى ملازمة . (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ) أى من المذاب والكلام على اضمار القول قبله أى قال هود بل هو الخ لأن الخطاب بينه وبينهم فيما سبق ويؤيده أنه قرئ كذلك بقدره بعضهم قل بل هو الخ للقراءة به أيضا والاحتياج إلى ذلك لأنه اضراب ولا يصلح أن يكون من مقول من قال هذا عارض مطرنا وقد البغوى قال الله بل هو الخ وينفك النظم الجليل عليه كما لا يخفى . وقرئ (بل ما استعجلتم) أى بل هو، وقرأ قوم (ما استعجلتم) بضم التاء وكسر الجيم (ريح) بدل من (ما) أو من (هو) أو خبر لمبتدأ محذوف أى هو أو هور ريح (فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٤) صفة (ريح) لكونه جملة بعد نكرة وكذا قوله تعالى (تُدْمِرُ) أى تهلك (كُلُّ شَيْءٍ) من نفوسهم وأموالهم أو بما أمرت بتدميره (بَأْمُرِ رَبِّهَا) ويجوز أن يكون مستأنفا ، وقرأ زيد بن على (تدمر) بفتح التاء وسكون الدال وضم الميم ، وقرئ كذلك أيضا إلا أنه بالياء ورفع (كل) على أنه فاعل (يدمر) وهو من دمر دمارا أى هلك ، والجملة صفة أيضا والعائد محذوف أى بها أو الضمير من (ربها) ويجوز أن يكون استئنافا كما في قراءة الجمهور وإراد البيان أن لكل يمكن وقتا مقضيا منوطا بأمر بارئه لا يتقدم ولا يتأخر ويكون الضمير من (ربها) لكل شيء فانه بمعنى الاشياء وفي ذكر الامر والرب والاضافة إلى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل ما لا يخفى والفاء في قوله تعالى : (فَاصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ) فصيحة أى فجأتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا لا يرى الامساكنهم وجعلها بعضهم فاء التعقيب على القول باضمار القول مسندا اليه تعالى وادعى أنه ليس هناك قول حقيقة بل هو عبارة عن سرعة استئصالهم وحصول دمارهم من غير ویشو هو كاترى ، وقرأ الجمهور (لا ترى) بتاء الخطاب (الامساكنهم) بالنصب ، والخطاب لكل أحد تتأني منه الرقية تنبيهها على أن حالهم بحيث لو حضر كل أحد بلادهم لا يرى الامساكنهم أولسيد المخاطبين ﷺ ، وقرأ أبو رجاء . وما لك بن دينار بخلاف عنهما والجحدري . والاعمش . وابن أبي اسحق . والسلى (لا ترى) بالتاء من فوق مضمومة (الامساكنهم) بالرفع وجمهور النحاة على أنه لا يجوز التأنيث مع الفصل بالا لا في الشعر كقول ذى الرمة :

كأنه جملهم وما بقيت الا النخيزة والالواح والعصب
وقول الآخر وعزاه ابن جنى لذى الرمة أيضا :

برى النخزوالاجرال ما فى غروضها وما بقيت الا الضلوع الجراشم

وبعضهم يحيزه مطلقا وتام الكلام فيه في محله ، وقرأ عيسى الهمداني (لا يرى) بضم الياء التحتية (الامسكنهم)
بالتوحيد والرفع وروى هذا عن الاعمش : ونصر بن عاصم ، وقرىء (لا ترى) بقاء فوقية مفتوحة (الامسكنهم)
مفردا منصوبا وهو الواحد الذى اريد به الجمع أو مصدر حذف مضافه أى آثار سكوتهم ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أى
مثل ذلك الجزاء العظيم ﴿ تَجْزَى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ٢٥ ﴾ أخرج ابن أبى الدنيا في كتاب السحاب : وأبو الشيخ في
العظمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال في قوله تعالى (فلما رأوه) الآية أول ما عرفوا أنه عذاب مارأوا
ما كان خارجا من رحالهم ومواشيهم يطير بين السماء والأرض مثل الريش فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم
فجاءت الريح ففتحت أبوابهم ومالت عليهم بالرمل فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام حسوما لهم
أنين فأمر الله تعالى الريح فكشفت عنهم الرمل وطرحتهم في البحر فهو قوله تعالى : (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) *
وروى أن أول من أبصر العذاب امرأة منهم رأت ريحا فيها كشبه النار ، وروى أن هودا عليه السلام
لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تبع ، وعن ابن عباس أنه عليه السلام اعتزل
ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين به الجلود وتلذه الأنف ، وأنها تمر من عاد بالظن بين السماء
والأرض وتدمغهم بالحجارة ، وكانت كما أخرج ابن أبى شيبة . وابن جرير عن عمرو بن ميمون نجي بالرجل
الغائب ، ومر في سورة الاعراف مما يتعلق بهم ما رجع اليهم ان أردته ، ولما أصابهم من الريح ما أصابهم
كان صلى الله عليه وسلم يدعو إذا عصفت الريح * أخرج مسلم . والترمذى . والنسائى . وابن ماجه . وعبد بن حميد عن
عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال : اللهم إني أسألك خيرها
وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به فإذا أخيلت السماء تغير
لونه صلى الله تعالى عليه وسلم وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا مطرت سرى عنه فسأله فقال عليه الصلاة والسلام :
لا أدري لعله كما قال قوم عاد هذا عارض ممطرنا » ﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ ﴾ أى قررنا عادا وأقدرناهم ، و(ما) في قوله تعالى :
﴿ فِيمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ ﴾ موصولة أو موصوفة و (إن) نافية أى فى الذى أو فى شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة
وطول الاعمار وسائر مبادئ التصرفات كما في قوله تعالى : (وكم أهلكنا من قبلك من قرن مكناهم فى الارض
ما لم نمكن لكم) ولم يكن النفي بلفظ (ما) كراهة لتكرير اللفظ وان اختلف المعنى ، ولذا قال من ذهب
إلى أن أصل مهماماهما على أنما الشرطية مكررة للتأكيد قلبت الالف الاولى هاء فرارا من كراهة التكرار ،
وعابوا على المتنبي قوله :

لعمرك ما ما بان منك لضارب بأقتل ما بان منك لعائب

أى ما الذى بان الخ ، يريد لسانه لا يتقاعد عن سنانة هذا للعائب وذلك للضارب ، وكان يسعه أن يقول :
إن ما بان ، وادخال الباء للنفي للعمل على أن أعمال إن قد جاء عن المبرد ، وقيل : (إن) شرطية محذوفة

الجواب والتقدير إن مكناكم فيه طغيتم ، وقيل : إنها صلة بعدما الموصولة تشبيها بما النافية وما التوقيتية ، فهي في الآية مثلها في قوله :

يرجى المرء ما أن لا يراه وتعرض دون أدناه الخطوب

أى مكناكم في مثل الذى مكناكم فيه ، وكونها نافية هو الوجه لأن القرآن العظيم يدل عليه في مواضع وهو ابلغ في التوبيخ وأدخل في الحث على الاعتبار ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ سَمْعًا وَابْصَارًا وَافْتَدَاً ﴾ يستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شئون منعمها عز وجل ويدوموا على شكره جل شأنه ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ ﴾ حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل ﴿ وَلَا أَبْصَارُهُمْ ﴾ حيث لم يحتلوا بها الآيات التكوينية المرسومة في صحائف العالم ﴿ وَلَا أَفْتَدَتْهُمْ ﴾ حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى ﴿ مِنْ شَيْءٍ ﴾ أى شيئاً من الاغناء ، و (من) : زيدة للتوكيد والتنوين للتقليل وجوز أن تكون تبعية أى ما أغنى بعض الاغناء وهو القليل ، و (ما) في (ما أغنى) نافية وجوز كونها استفهامية . وتعقبه أبو حيان بأنه يلزم عليه زيادة (من) في الواجب وهو لا يجوز على الصحيح . ورد بأنهم قالوا : تزداد في غير الموجب وفسروه بالنفى والنهى والاستفهام ، وإفراد السمع في النظم الجليل وجمع غيره لاتحاد المدرك به وهو الاصوات وتعدد مدركات غيره أولاً لأنه في الأصل مصدر ، وأيضاً مسموعهم من الرسل متحدة ﴿ إِذْ كَانُوا يَمْجِدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ ظرف متعلق بالنفى الصريح أو الضمنى في قوله تعالى : (ما أغنى) وهو ظرف أريد به التعليل كناية أو مجازاً لاستواء مؤدى الظرف والتعليل في قولك : ضربته لاساءته وضربته إذ أساء لأنك إنما ضربته في ذلك الوقت لوجود الاساءة فيه ، وهذا بما غلب في اذوحيث من بين سائر الظروف حتى كاد يلحق بمعانيهم ما للوضعية ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ٢٦ ﴾ من العذاب الذى كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون : (فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) ﴿ وَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿ مِنَ الْقُرَى ﴾ كحجر ثمود وقرى قوم صالح ، والكلام بتقدير مضاف أو تجوز بالقرى عن اهاها لقوله تعالى : ﴿ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ ﴾ أى كررناها ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٢٧ ﴾ وأمر (ما) سهل ، والترجى مصروف لغيره تعالى أو (لعل) للتعليل أى لئكى يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصى إلى الايمان والطاعة ﴿ فَلَوْلَا نَصْرُهُمْ ﴾ فهلا منعهم من الهلاك الذى وقعوا فيه ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا ﴾ أى آلهتهم الذين اتخذوهم .

﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلَهَةً ﴾ والضمير الذى قدرناه عائداً هو المفعول الاول - لا اتخذوا - و (آلهة) هو المفعول الثانى و (قربانا) بمعنى متقربا بها حال أى اتخذوهم آلهة من دون الله حال كونها متقربا بها الى الله عز وجل حيث كانوا يقولون : (ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى) و (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وفى الكلام تمكيد بهم . وأجاز الحوفى كون (قربانا) مفعولا من أجله ، وأجاز هو أيضاً . وابن عطية . ومكى . وأبو البقاء كونه المفعول الثانى - لا اتخذوا - وجعل « آلهة » بدلا منه ، وقال فى الكشف : لا يصح ذلك لفساد المعنى ، ونقل عنه فى بيانه أنه لا يصح أن يقال : تقربوا بها من دون الله لأن الله تعالى لا يتقرب به ، وأراد كما فى الكشف

أنه إذا جعل مفعولا ثانيا يكون المعنى فلولا نصرهم الذين اتخذوهم قربانا بدل الله تعالى أو متجاوزين عن أخذه تعالى قربانا إليهم وهو معنى فاسد . واعترض عليه بجعل « دون » بمعنى قدام كإقيل به في قوله تعالى : (وادعوا شهداءكم من دون الله) وبأنه قد قيل : ان قربانا مفعول له فهو غير مختص بالمتقرب به ، وجاز أن يطلق على المتقرب إليه وحيفئذ يلتزم الكلام . وأجيب عن الأول بأنه غير قاذح لأنه مع نزارة استعمال دون بمعنى قدام لا يصلح ظرف الاتخاذ لأنه ليس بين يدي الله تعالى وإنما التقرب بين يديه تعالى ولأجله سبحانه ، واتخاذهم قربانا ليس التقرب به لأن معناه تعظيمهم بالعبادة ليشفعوا بين يدي الله عز وجل ويقربوهم إليه سبحانه ، فزمان الاتخاذ ليس زمان التقرب البتة ، وحيفئذ ان كان مستقرا حالا لزم ما لزم في الأول *

ولا يجوز أن يكون معمول « قربانا » لأنه اسم جامد بمعنى ما يتقرب به فلا يصلح عاملا كالقارورة وان كان فيها معنى القرار ، وفيه نظر . وأجيب عن الثاني بأن الزمخشري بعد أن فسر القربان بما يتقرب به ذكر هذا الامتناع على أن قوله تعالى بعد . « بل ضلوا » النخ ينادى على فساد ذلك أرفع النداء ، وقال بعضهم في امتناع كون « قربانا » مفعولا ثانيا و (آلهة) بدلا منه : إن البدل وإن كان هو المقصود لكن لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا صحة لقولهم : اتخذوهم من دون الله قربانا أي ما يتقرب به لأن الله تعالى لا يتقرب به بل يتقرب إليه فلا يصح أنهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله تعالى في ذلك ، وجنح بعضهم إلى أنه يصح أن يقال : الله تعالى يتقرب به أي برضاه تعالى والتوسل به جل وعلا . وقال الطيبي . إن الزمخشري لم يرد بفساد المعنى الاختلاف المعنى المقصود إذ لم يكن قصد في اتخاذهم الاصنام آلهة على زعمهم إلا أن يتقربوا بها إلى الله تعالى كما نظقت به الآيات فتأمل

وقرى (قربانا) بضم الراء (بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ) أي غابوا عنهم ، وفيه تهكم بهم أيضا كأن عدم نصرهم لغيبهم أو ضاعوا عنهم أي ظهر ضياعهم عنهم بالكيفية وقد امتنع نصرهم الذي كانوا يؤملونه امتناع نصر الغائب عن المصور (وَذَلِكَ) أي ضلال آلهتهم عنهم (أَفْكَهُمْ) أي أثر إفكهم أي صرفهم عن الحق واتخاذهم آياها آلهة ونتيجة شركهم (وَمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ٢٨) أي وأثر افتراءهم وكذبهم على الله تعالى وأثر ما كانوا يفترونه على الله عز وجل ، وقيل : ذلك إشارة إلى اتخاذ الاصنام آلهة أي ذلك الاتخاذ الذي أثره ضلال آلهتهم عنهم كذبهم وافتراءهم والذي كانوا يفترونه وليس بذاك وان لم يحوج إلى تقدير مضاف . وقرأ ابن عباس في رواية (أفكهم) بفتح الهمزة والالف والافك ، صدران كالحذر والحذر . وقرأ ابن الزبير . والصباح بن العلامة الانصاري . وأبو عياض . وعكرمة . وحنظلة بن النعمان بن مرة . ومجاهد . وهي رواية عن ابن عباس أيضا (أفكهم) بثلاث فتحات على ان افك فعل ماض وحيفئذ لا إشارة إلى الاتخاذ أي ذلك الاتخاذ صرفهم عن الحق ، (وما كانوا) قيل عطف على ذلك وعلى الضمير المستتر وحسن للفصل أو هو مبتدا والخبر محذوف أي كذلك ، والجملة حينئذ معطوفة على الجملة قبلها * وأبو عياض . وعكرمة أيضا كذلك إلا أنهما شددوا الفاء للكثير ، وابن الزبير أيضا . وابن عباس فيما ذكر ابن خالويه (أفكهم) بالمد فاحتمل أن يكون فاعل فالهمزة أصلية وأن يكون أفعال والهمزة للتعدية أي جعلهم يأفكون ، وجوز أن تكون للوجدان كأحمدته وان يكون أفعال بمعنى فعل ، وحكى في البحر أنه قرى . (أفكهم) بفتح الهمزة والفاء وضم الكاف وهي لغة في الافك . وقرأ ابن عباس فيما روى قطرب . وأبو الفضل الرازي « أفكهم » اسم فاعل من افك أي وذلك الاتخاذ صارفهم عن الحق . وقرى . (وذلك افك بما كانوا يفترون) والمعنى ذلك بعض

ما يفترون من الافك اى بعض اكاذيبهم المفتريات فالافك بمعنى الاختلاق فلا تغفل *

(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجُنِّ) اى أملناهم اليك ووجهناهم لك ، والنفر على المشهور ما بين الثلاثة والعشرة من الرجال لانه من النفير والرجال هم الذين إذا حز بهم أمر نفروا لكفايته، والحق أن هذا باعتبار الاغلب فانه يطلق على ما فوق العشرة فى الفصيح، وقد ذكر ذلك جمع من أهل اللغة، وفى المجمل الرهط والنفر يستعمل الى الاربعين، وفى كلام الشعبي حدثني بضعة عشر نفرا، وسيأتى إن شاء الله تعالى تفسيره هنا بما زاد على العشرة ولا يختص بالرجال ، والاخذ من النفير لا يدل على الاختصاص بهم بل ولا بالناس لاطلاقه على الجن هناء

والجار والمجرور صفة (نفرا) وقوله تعالى: ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ حال مقدرة منه لتخصه بالصفة أو صفة له أخرى وضمير الجمع لأنه اسم جمع فهو فى المعنى جمع، ولذا قرئ. (صرفنا) بالتشديد للتكثير، و(اذ) معمولة للمقدر لا عطف على (أخا عاد) أى واذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا من الجن مقدرا استماعهم القرآن لعلمهم يتنبهون لجهلهم وغلطهم وقبح ما هم عليه من الكفر بالقراّن والاعراض عنه حيث أنهم كفروا به وجعلوا أنه من عند الله تعالى وهم أهل اللسان الذى نزل به ومن جنس الرسول الذى جاء به وأولئك استمعوه وعلّموا أنه من عنده تعالى وآمنوا به وليسوا من أهل لسانه ولا من جنس رسوله ففى ذكر هذه القصة توبيخ لكفار قريش والعرب ، ووقوعها اثر قصة هود وقومه واهلاك من أهلها من أهل القرى لأن أولئك كانوا ذوى شدة وقوة كما حكى عنهم فى غير آية والجن توصف بذلك أيضا كما قال تعالى: (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوى أمين) ووصفهم بذلك معروف بين العرب فناسب ما قبلها لذلك مع ما قيل ان قصة عاد متضمنة ذكر الريح وهذه متضمنة ذكر الجن وكلاهما من العالم الذى لا يشاهد، وسيأتى الكلام فى حقيقة تمهم *

(فَلَمَّا حَضَرُوهُ) اى القرآن عند تلاوته، وهو الظاهر وإن كان فيه تجوز، وقيل: الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عند تلاوته له ففيه التفات (قَالُوا) اى قال بعضهم لبعض ﴿انصتُوا﴾ اسكتوا لنسمعه، وفيه تأدب مع العلم وكيف يتعلم (فَلَمَّا قُضِيَ) اتم وفرغ عن تلاوته. وقرأ أبو مجاز: وحبيب بن عبد الله (قضى) بالبناء للفاعل وهو ضمير الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، وأيد بذلك عود ضمير (حضره) اليه عليه الصلاة والسلام *

(وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ٢٩) مقدرين انذارهم عند وصولهم اليهم ، قيل: انهم تفرقوا فى البلاد فأنذروا من رأوه من الجن، وكان هؤلاء كما جاء فى عدة روايات من جن نصيبين وهى من ديار بكر قريبة من الشام ، وقيل: من نينوى وهى أيضا من ديار بكر لكنهما قريبة من الموصل، وذكر أنهم كانوا من الشيعة بنوهم أكثر الجن عددا وعامة جنود إبليس منهم، وكان الحضور بوادى نخلة على نحو ايلة من مكة المكرمة. فقد أخرج أحمد وعبد بن حميد. والشيخان. والترمذى. والنسائى. وجماعة عن ابن عباس قال: انطلق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى طائفة من أصحابه إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء الا شئ حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو وأصحابه بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو عليه الصلاة والسلام يصلى بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا

له فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهناك حين رجعوا إلى قومهم .
وفي رواية ابن المنذر عن عبد الملك أنهم لما حضروا قالوا : أنصتوا فلما قضى وفرغ صلى الله تعالى عليه وسلم
من صلاة الصبح ولوا إلى قومهم منذرين مؤمنين لم يشعر بهم حتى نزل (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) .
وفي الصحيحين عن مسروق عن ابن مسعود أنه آذنته صلى الله تعالى عليه وسلم بهم شجرة وكانوا على
ماروى عن ابن عباس سبعة وكذا قال زر و ذكر منهم زوبعة ، وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد أنهم كانوا
سبعة . ثلاثة من أهل حران . وأربعة من نصيبين وكانت أسماؤهم حسي . ومسي . وشاصر . وماصر . والاردوانيان .
وسرق . والاحقم . بميم آخره ، وفي رواية عن كعب الأحقب بالبلاء ، وذكر صاحب الروض بدل حسي .
ومسي . منشئ . ومنشئ .

وأخرج ابن جرير . والطبراني . وابن مردويه عن ابن عباس أنه قال في هؤلاء النفر : كانوا تسعة عشر من
أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رسلا إلى قومهم ، والخبر السابق يدل على أنه عليه السلام
كان حين حضر الجن مع طائفة من أصحابه ، وأخرج عبد بن حميد . وأحمد . ومسلم . والترمذي . وأبو داود
عن علقمة قال قلت لابن مسعود : هل صحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد ؟ قال : ما صحبه
منا أحد ولكننا كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب
فقلنا : استطير أو اغتيل فبقنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء فأخبرناه فقال أنا الذي دأى
الجن فأتيتهم فقرأت عليهم القرآن فانطلق بنا فأرانا آثامهم وآثار نيرانهم فهذا يدل على أنه عليه الصلاة
والسلام لم يكن معه أحد من أصحابه ولم يشعر به أحد منهم .

وأخرج أحمد عن ابن مسعود أنه قال : قمت مع رسول الله عليه السلام ليلة الجن وأخذت أداة ولا أحسبها
إلا ماء حتى إذا كنا بأعلى مكة رأيت أسودة مجتمعة قال : فخطبني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال :
قم ههنا حتى أتيك وهضي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إليهم فرأيتهم يتثرون إليه فسمعتهم ليلا
طويلا حتى جاءني مع الفجر فقال لي : هل معك من وضوء قلت : نعم ففتحت الأداة فاذا هو نبيذ فقلت : ما كنت
أحسبها إلا ماء فاذا هو نبيذ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ثمرة طيبة وماء طهور فتوضا منها ثم قام
يصلي فأدركه شخصان منهم فصفاهما خلفه ثم صلى بنا فقلت : من هؤلاء يا رسول الله ؟ قال : جن نصيبين
فهذا يدل على خلاف ما تقدم والجمع بتمدد واقعة الجن ، وقد أخرج الطبراني في الأوسط . وابن مردويه عن
الخبر أنه قال : صرفت الجن إلى رسول الله عليه السلام مرتين ، وذكر الخفافى أنه قد دلت الأحاديث على أن وفادة
الجن كانت ست مرات ويجمع بذلك اختلاف الروايات في عددهم وفي غير ذلك ، فقد أخرج أبو نعيم . والواقدي
عن كعب الأحبار قال : انصرف النفر التسعة من أهل نصيبين من بطن نخلة وهم فلان وفلان وفلان
والاردوانيان . والاحقب جاءوا قومهم منذرين فخرجوا بعد وافدين إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وهم ثلاثمائة فأتوا إلى الحجون فجاء الاحقب فسلم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : إن قومنا
قد حضروا الحجون يلقونك فواعده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لساعة من الليل بالحجون .

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة أنه قال في الآية : هم اثنا عشر ألفا من جزيرة الموصل ، وفي الكشف
حكاية هذا العدد أيضا وأن السورة التي قرأها صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم (اقرأ باسم ربك) ، ونقل في

البحر عن ابن عمر . وجابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهم أنه عليه الصلاة والسلام قرأ عليهم سورة الرحمن فكان إذا قال: (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قالوا: لا بشيء من آيات ربنا نكذب ربنا لك الحمد، وأخرج أبو نعيم في الدلائل . والواقدي عن أبي جعفر قال: قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الجن في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من النبوة وفي معناه ما قيل: كانت القصة قبل الهجرة بثلاث سنين بناء على ما صح عن ابن عباس أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مكث بمكة يوحى إليه ثلاث عشرة سنة وفي المسألة خلاف والمشهور ما ذكر *

وقيل: كان استماع الجن في ابتداء الإيحاء (قَالُوا) أى عند رجوعهم إلى قومهم (يَقُولُونَ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا) جليل الشأن (أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى) ذكره دون عيسى عليهما السلام لأنه متفق عليه عند أهل الكتابين ولأن الكتاب المنزل عليه أجل الكتب قبل القرآن وكان عيسى عليه السلام مأوراً بالعمل بمعظم ما فيه أو بكله ، وقال عطاء: لأنهم كانوا على اليهودية ويحتاج إلى نقل صحيح ، وعن ابن عباس أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام فلذا قالوا ذلك، وفيه بعد فان اشتهار أمر عيسى عليه السلام وانتشار أمر دينه أظهر من أن يخفى لاسيما على الجن ، ومن هنا قال أبو حيان: ان هذا لا يصح عن ابن عباس (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) من التوراة أو جميع الكتب الإلهية السابقة (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) من العقائد الصحيحة (وَالْإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ٣٠) من الأحكام الفرعية أو ما يعمها وغيرها من العقائد على أنه من ذكر العام بعد الخاص .

(يَقُولُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ) أرادوا به ما سمعوه من الكتاب ووصفوه بالدعوة إلى الله تعالى بعدما وصفوه بالهداية إلى الحق والطريق المستقيم لتلازمها ، وفي الجمع بينها ترغيب لهم في الإجابة أى ترغيب ، وجوز أن يكون أرادوا به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وَأَمِنُوا بِهِ) أى بداعى الله تعالى أو بالله عز وجل (يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) أى بعض ذنوبكم قيل: وهو ما كان خالص حقه عز وجل فان حقوق العباد لا تغفر بالإيمان . وتعقبه ابن المنير بأن الحربى إذا نهب الأموال وسفك الدماء ثم حسن إسلامه جب إسلامه لائم ما تقدم بلا إشكال ثم قال ويقال: انه لم يرد وعد المغفرة للكافرين على تقدير الإيمان في كتاب الله تعالى إلا مبعضة وهذا منه فان لم يكن لا طراد كذا سر فما هو إلا أن مقام الكافرين قبض لا بسط فلذلك لم ييسر رجاءه في مغفرة جملة الذنوب ، وقد ورد في حق المؤمنين كثيراً ، ورده صاحب الانصاف بأن مقام ترغيب الكافر في الاسلام بسط لا قبض وقد أمر الله تعالى أن يقول لفرعون: (قولا لينا) وقد قال تعالى: (ان ينشئوا يغفر لهم ما قد سلف) وهى غير مبعضة و (ما) للعموم لاسيما وقد وقعت في الشرط .

وقال بعض أجلة المحققين: إن الحربى وإن كان إذا أسلم لا تبقى عليه تبعة أصلا لكن الذى إذا أسلم تبقى عليه حقوق الآدميين ، والقوم - كما نقل عن عطاء - كانوا يهودا فتبقى عليهم تبعاتهم فيما بينهم إذا أسلموا جميعاً من غير حرب فلما كان الخطاب معهم جرى بما يدل على التبعية ، وقيل: جرى به لعدم علم الجن بعد بأن الاسلام يجب ائتم ما قبله مطلقا وفيه توقف ، وقد يقال: أرادوا بالبعض الذنوب السالفة ولولم يقولوا ذلك لتروم المخاطبون أنهم إن أجابوا داعى الله تعالى وآمنوا به يغفر لهم ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر، وقيل: من زائدة أى يغفر لكم ذنوبكم (وَيُجْزِمُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ٣١) معد للكفرة، وهذا ونحوه يدل على أن الجن

مكلفون ، ولم ينص ههنا على ثوابهم إذا أطاعوا وعمومات الآيات تدل على الثواب ، وعن ابن عباس لهم ثواب وعليهم عقاب يلتقون في الجنة ويزدحمون على أبوابها ، ولعل الاختصار هنا على ما ذكر لما فيه من التذكير بالذنوب والمقام مقام الانذار فلذا لم يذكر فيه شئ من الثواب ، وقيل : لا ثواب لمطيعيهم الا النجاة من النار فيقال لهم : كونوا ترابا فيكونون ترابا ، وهذا مذهب ليث بن أبي سالم . وجماعة ونسب إلى الامام أبي حنيفة رضى الله تعالى عنه ، وقال النسفى في التيسير : توقف أبو حنيفة في ثواب الجن في الجنة ونعيمهم لأنه لا استحقاق للعبد على الله تعالى ولم يقل بطريق الوعد في حقهم الا المغفرة والاجارة من العذاب ، وأما نعيم الجنة فموقوف على الدليل .

وقال عمر بن عبد العزيز إن مؤمنى الجن حول الجنة في ربض وليسوا فيها ، وقيل : يدخلون الجنة ويلهمون التسبيح والذكر فيصيون من لذة ذلك ما يصيبه بنو آدم من لذائذهم ، قال النووي في شرح صحيح مسلم : والصحيح أنهم يدخلونها ويتنعمون فيها بالأكل والشرب وغيرهما ، وهذا مذهب الحسن البصرى . ومالك ابن أنس . والضحاك . وابن أبي ليلى . وغيرهم ﴿ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ إيجاب للإجابة بطريق التهريب اثر إيجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين وظهار داعى الله من غير اكتفاء بأحد الضميرين بأن يقال : يحبه أو يجب داعيه للبالغة في الإيجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال الروعة . وتقيد الإعجاز بكونه في الأرض لتوسيع الدائرة أى فليس بمعجز له تعالى بالحرب وان هرب كل مهرب من أقطارها أو دخل في أعماقها ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ﴾ بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الأولياء باعتبار معنى (من) فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد على الآحاد ، ويؤيد ذلك ما روى عن ابن عامر أنه قرأ (وليس لهم) بضمير الجمع فانه لمن باعتبار معناها ، وكذا الجمع في قوله سبحانه : ﴿ أُولَئِكَ ﴾ بذلك الاعتبار أى أولئك الموصوفون بعدم اجابة داعى الله ﴿ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ أى ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على أحد حيث أعرضوا عن إجابة من هذا شأنه ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ الهمزة للانكار والواو على أحد القولين عطف على مقدر دخله الاستفهام يستدعيه المقام ، والرؤية قلبية أى ألم يتفكروا ولم يعلموا ﴿ إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ ﴾ أى لم يتعب بذلك أصلا من عبي كفعل بكسر العين ، ويجوز فيه الادغام بمعنى تعب كأعيا ، وقال الكسائى : أعيت من التعب وعيت من انقطاع الحيلة والعجز والتحير في الأمر ، وأنشدوا :

عيوا بأمرهم كما عيت بديضتها الحماة

أى لم يعجز عن خلقهم ولم يتحير فيه ، واختار بعضهم عدم الفرق ، وقرأ الحسن (ولم يعي) بكسر العين وسكون الياء ، ووجه أنه في الماضى فتح عين الكلمة كما قالوا فى بقى بقى بفتح القاف وألف بعدها وهى لغة طى ، ولما بنى الماضى على فعل مفتوح العين بنى مضارعه على يفعل مكسور هاء ف جاء يعي فلما دخل الجازم حذف الياء فبقى يعي بنقل حركة الياء إلى العين فسكنت الياء ، وقوله تعالى : ﴿ بِقَادِرٍ ﴾ فى حيز الرفع لأنه خبر أن (م - ٥ - ج - ٢٦ - تفسير روح المعانى)

والباء زائدة فيه، وحسن زيادتها كون ما قبلها في حيز النفي، وقد أجاز الزجاج ما ظننت أن أحدا بقائم قياساً على هذا، قال أبو حيان: والصحيح قصر ذلك على السماع فكأنه قيل هنا: أو ليس الله بقادر ﴿عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ ولذلك أجيب عنه بقوله تعالى: ﴿بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٣﴾ تقريراً للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود، ولذا قيل: إن هذا مشير إلى كبرى لصغرى سهلة الحصول فكأنه قيل: أحياء الموتى شيء وظل شيء مقدور له فينتج أن أحياء الموتى مقدور له، ويلزمه أنه تعالى (قادر على أن يحيي الموتى) *

وقرأ الجحدري، وزيد بن علي، وعمرو بن عبيد، وعيسى، والأعرج بخلاف عنه ويعقوب (يقدر) بدل (بقادر) بصيغة المضارع الدال على الاستمرار وهذه انقراءة على ما قيل موافقة أيضاً للرسم العثماني *

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ ظرف عامله قول مضمرة قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ أي ويقال: (يوم يعرض) الخ، والظاهر أن الجملة معترضة، وقيل: هي حال، والتقدير وقد قيل، وفيه نظر، وقد مر أنفأ الكلام في العرض بطوله، والاشارة إلى ما يشاهدونه حين العرض من حيث هو من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلاً عن تذكره وتانيته إذ هو اللائق بتحويله وتفخيمه، وقيل: هي إلى العذاب بقرينة التصريح به بعد، وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزاءهم بوعده الله تعالى ووعيده، وقولهم: (وما نحن بمعذبين) *

﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا﴾ تصديق بحقيقته، وأكّدوا بالقسم كأنهم يطعمون في الخلاص بالاعتراف بحقيقة ذلك كما في الدنيا وأنى لهم. وعن الحسن أنهم ليعذبون في النار وهم راضون بذلك لأنفسهم يعترفون أنه العدل *

﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٤﴾ بسبب استمراركم على الكفر في الدنيا، ومعنى الأمر الهاتئ بهم فهو تهكم وتوبيخ وإلا لكان تحصيلاً للعاصل، وقيل: هو أمر تكويني، والمراد بإيجاب عذاب غير مأم فيه

وليس بذلك، والفاء في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ واقعة في جواب شرط مقدر

أي إذا كان عاقبة أمر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم أو إذا كان الأمر على ما تحققت من قدرته

تعالى الباهرة (فاصبر) وجوز غير واحد كونها عاطفة لهذه الجملة على ما تقدم، والسببية فيها ظاهرة واقتصر

في البحر على كونها لعطف هذه الجملة على أخبار الكفار في الآخرة، وقال: المعنى بينهما مرتبط كأنه قيل: هذه

حالم فلا تستعجل أنت واصبر ولا تخف إلا الله عز وجل، والعزم يطلق على الجهد والاجتهاد في الشيء وعلى

الصبر عليه، و(من) بيانية كما في (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) والجار والمجرور في موضع الحال من (الرسول) فيكون

أولوا العزم صفة جميعهم، وإلى ذهب ابن زيد. والجباي. وجماعة أي (فاصبر كما صبر) الرسول المجتهدون المجتهدون

في تبليغ الوحي الذين لا يصرفهم عنه صارف ولا يعطفهم عنه عاطف والصابرون على أمر الله تعالى فيما عهد

سبحانه اليهم أو قضاء وقدره عز وجل عليهم بواسطة أو بدونها. وعن عطاء الخراساني والحسن بن الفضل.

والكلبي. ومقاتل. وقادة. وأبى العالية. وابن جريج، وإلى ذهب أكثر المفسرين أن (من) للتبعية فاولوا

العزم بعض الرسل عليهم السلام، واختلف في عدتهم وتعيينهم على أقوال، فقال الحسن بن الفضل: ثمانية عشر

وهم المذكورون في سورة الأنعام لأنه سبحانه قال بعد ذكرهم: (فبهداهم اقتده) وقيل: تسعة نوح عليه السلام صبر

على أذى قومه طويلاً. وإبراهيم عليه السلام صبر على الالتقاء في النار. والذبيح عليه السلام صبر على ما أريد

به من الذبح . ويعقوب عليه السلام صبر على فقد ولده . ويوسف عليه السلام صبر على البئر والسجن وأيوب عليه السلام صبر على البلاء . وموسى عليه السلام قال له قومه: (إنما لندر كون) فقال (إن معي ربي سيهدين) وداود عليه السلام بكى على خفيته أربعين سنة وعيسى عليه السلام لم يضع لينة على لينة وقال: إنها يعنى الدنيا معبرة فاعبروها ولا تعمروها، وقيل: سبعة آدم . نوح . إبراهيم . وهوسى . وداود . وسليمان . وعيسى عليهم السلام ، وقيل: ستة وهم الذين أمروا بالقتال وهم نوح . وهود . وصالح . وموسى . وداود . وسليمان ، وأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس ، وعن مقاتل أنهم ستة ولم يذكر حديث الأمر بالقتال وقال: هم نوح . وإبراهيم . واسحق . ويعقوب . ويوسف . وأيوب . وأخرج ابن عساكر عن قتادة أنهم نوح . وهود . وإبراهيم . وشعيب . وموسى عليهم السلام وظاهره القول بأنهم خمسة وأخرج عبد الرزاق . وعبد بن حميد . وابن المنذر عنه أنهم نوح . وإبراهيم . وموسى . وعيسى . وظاهره القول بأنهم أربعة وهذا أصح الأقوال . وقول الجلال السيوطي: إن أصحابها القول بأنهم خمسة هؤلاء الأربعة ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعين وأخرج ذلك ابن أبي حاتم . وابن مردويه عن ابن عباس وهو المروى عن أبي جعفر . وأبي عبد الله من أئمة أهل البيت رضى الله تعالى عنهم ونظمهم بعض الأجلة فقال:

أولو العزم نوح والخاليل الممجد موسى وعيسى والحبيب محمد

مبنى على أنهم كذلك بعد نزول الآية وتأنى نبينا عليه الصلاة والسلام بمن أمر بالتأسي به ولم يرد أن أصح الأقوال أن المراد بهم في الآية أولئك الخمسة صلى الله تعالى عليهم وسلم إذ يلزم عليه أمره عليه الصلاة والسلام أن يصبر كصبره نفسه ولا يكاد يصح ذلك ، وعلى هذا قول أبي العالية فيما أخرجه عبد بن حميد . وأبو الشيخ . والبيهقي في شعب الإيمان . وابن عساكر عنه أنهم ثلاثة نوح . وإبراهيم . وهود . ورسول الله ﷺ رابع لهم ، ولعل الأولى في الآية القول الأول وإن صار أولوا العزم بعد مختصا بأولئك الخمسة عليهم الصلاة والسلام عند الإطلاق لا شتهارهم بذلك كما في الأعلام الغالبة فكانه قيل: فاصبر على الدعوة إلى الحق ومكابدة الشدائد مطلقا كما صبر أخوانك الرسل قبلك ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ أى لكفار . مكة بالعذاب أى لا تدع بتعجيله فانه على شرف النزول بهم ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿لَمْ يَلْبِسُوا﴾ في الدنيا ﴿الْأَسَافَةَ﴾ يسيرة ﴿مِنْ نَّهَارٍ﴾ لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته . وقرأ أبي (من النهار) وقوله تعالى: ﴿بَلَاغٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أى هذا الذى وعظمت به كفاية في الموعظة أو تبليغ من الرسول ، وجعل بعضهم الإشارة إلى القرآن أو ما ذكر من السورة . وأيد تفسير (بلاغ) بتبليغ بقراءة أبى مجاز . وأبى سراج الهذلى (بلاغ) بصيغة الأمر صلى الله تعالى عليه وسلم ، وبقراءة أبى مجاز أيضا في رواية (بلاغ) بصيغة الماضى من التفعيل ، واستظهر أبو حيان كون الإشارة إلى ما ذكر من المدة التى لبسوا فيها كأنه قيل: تلك الساعة بلاغهم كما قال تعالى: (متاع قليل) وقال أبو مجاز: (بلاغ) مبتدأ خبره قوله تعالى: (لهم) السابق فيوقف على (ولا تستعجل) ويبتدأ بقوله تعالى: (لهم) وتكون الجملة التنبيهية مترضة بين المبتدأ والخبر ، والمعنى لهم انتهاء وبلوغ إلى وقت فينزل بهم العذاب ، وهو ضعيف جدا لما فيه من الفصل ومخالفة الظاهر إذ الظاهر تعلق (لهم) بتستعجل . وقرأ الحسن . وزيد بن علي . وعيسى (بلاغا) بالنصب بتقدير باغ بلاغا أو بلغنا بلاغا ونحو ذلك . وقرأ الحسن أيضا (بلاغ) بالجر على أنه نعت لهاره

﴿فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ٣٥﴾ الخارجون عن الاعتاض أو عن الطاعة ، وفي الآية من الوعيد والانذار

ما فيها . وقرأ ابن محيصن فيها حكى عنه ابن خالويه (بهلك) بفتح الياء وكسر اللام، وعنه أيضا (بهلك) بفتح الياء واللام وماضيه هلك بكسر اللام وهي لغة ، وقال ابو الفتح : هي مرغوب عنها . وقرأ زيد بن ثابت (نهلك) بنون العظمة من الاهلاك (القوم الفاسقين) بالنصب، وهذه الآية أعنى قوله تعالى : (كأنهم) الى الآخر جاء في بعض الآثار ما يشعر بأن لها خاصية من بين آي هذه السورة . أخرج الطبراني في الدعاء عن أنس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « إذا طلبت حاجة وأحببت أن تنجح فقل : لا إله الا الله وحده لا شريك له العلي العظيم لا إله الا الله وحده لا شريك له الحليم الكريم بسم الله الذي لا إله الا هو الحى الحليم سبحانه الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها . كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون اللهم انى اسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم لا تدع لى ذنبا الا غفرته ولا لها الا فرجته ولا دينا الا قضيته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة الا قضيتها برحمتك يا ارحم الراحمين »

﴿سورة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ٤٧﴾

وتسمى سورة القتال ، وهي مدنية عند الاكثرين ولم يذكروا استثناء ، وعن ابن عباس . وقادة أنها مدنية الا قوله تعالى : (وكأين من قرية) الى آخره فانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما خرج من مكة الى الغار التفت اليه وقال : « أنت أحب بلاد الله تعالى الى الله وأنت أحب بلاد الله تعالى الى ولولا ان اهلك اخرجوني منك لم اخرج منك » فانزل الله تعالى ذلك فيكون مكيًا بناء على ان ما نزل في طريق المدينة قبل ان يبلغها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم - اعنى ما نزل في سفر الهجرة - من المكي اصطلاحًا كما يؤخذ من أثر اخرجه عثمان ابن سعيد الدارمى بسنده الى يحيى بن سلام ، وعدة آياتها أربعون فى البصرى وثمان وثلاثون فى الكوفى وتسمع بالتاء الفوقية وثلاثون فيما عداها ، والخلاف فى قوله تعالى : (حتى تضع الحرب اوزارها) وقوله تعالى : (لذة للشاربين) ولا يخفى قوة ارتباط اولها بآخر السورة قبلها واتصاله وتلاحمه بحيث لو سقطت من البين البسمة لكانا متصلًا واحدا لا تنافر فيه كآلية الواحدة آخذًا بعضه بعنق بعض ، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم على ما أخرج الطبراني فى الاوسط عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يقرؤها فى صلاة المغرب • واخرج ابن مردويه عن على كرم الله تعالى وجهه انه قال : نزلت سورة محمد آية فينا وآية فى بنى أمية ، ولا أظن صحة الخبر . نعم لكفار بنى أمية الحظ الاوفر من عمومات الآيات التى فى الكفار كما ان لاهل البيت رضى الله تعالى عنهم المولى والرقيب من عمومات الآيات التى فى المؤمنين ، وأكثر من هذا لا يقال سوى أنى أقول : لعن الله تعالى من قطع الارحام وآذى الآل •

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أى أعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه أو منعوا غيرهم عن ذلك على ان صد لازم أو متعد ، قال فى الكشف : والاول أظهر لأن الصد عن سبيل الله هو الاعراض عما أتى به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تعالى : (قل هذه سبيل الله) فيطابق قوله تعالى : (والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل عل محمد) وكثير من الآثار تؤيد الثانى ، وفسر الضحاك (سبيل الله) بيت الله عز وجل ، وقال : صدم عنه منعهم قاصديه وليس بذلك •